

الحركة العلمية والأدبية بالمغرب
على عهد السلطان المولى إسماعيل
(1082 – 1139 هـ)

للدكتور عبد الله المرابط الترغي
كلية الآداب – تطوان

القسم الأول

التقديم :

إذا كان العصر الإسماعيلي قد تميز بنشاط في عملية التدريس، واتساع في ممارسته بكثرة حلقاته، وتعدد شيوخه، ومجالس الاستفادة منه، مع تنوع هذا الدرس بالعلوم المختلفة المصنفة الكثيرة، فإن هذا النشاط واتساع ممارسة الدرس التعليمي ما كان ليتم بهذه الصفة، أو يكون له تأثير على مجرى الحركة الأدبية، فيصح مكوناً أساسياً من مكوناتها، لولا وجود المراكز العلمية التي استمر فيها الحضور العلمي، ونشطت بها حركة الدرس والتحصيل، ولولا استحداث العديد من المراكز العلمية التي جدت مع ظروف القرن الحادي عشر، ولولا وجود مجموعة من حلقات الدرس والتكوين العلمي التي أقامها الشيوخ في هذه المراكز المستحدثة، لتتأخر معها ظروف العمل لخلق حركة أدبية موازية للحركة العلمية، وإنشاء مجال للممارسة الأدبية، يشارك فيه وفي صناعته مختلف أصناف

الشيوخ، وعلى جميع الأصعدة والمستويات، فيتم فيه إنجاز العمل الأدبي تأليفا وإبداعا.

والملاحظ أن هذه المراكز في تنوعها، وتعددتها تتوزع في جميع نواحي المغرب في بواديه وحواضره، فلم تخل منطقة من مناطق المغرب دون أن يكون بها مركز من مراكز العمل، منها ما كان من قبل مركز وعلم ونشاط درس، فتجدد به ما كان قد اندثر، واستيقظ فيه ما كان له من سبقية سالفه، ومنها ما كان مستحدثا جديدا يعبر عن بدايته، ويحمل بذلك معالم ظهوره وحضوره.

على أن هذه المراكز وهي تساهم في خلق النشاط العلمي أو الأدبي بمظهره المختلفة، تتفاوت فيما بينها عملا وتأثيرا، فالكثير من هذه المراكز كان نشاط الدرس بها محدودا، يمارسه شيخ واحد أو مجموعة من الشيوخ، ولا يتجاوز مستواه في كثير من الأحيان، ما هو من قبيل الضرورة العلمية، التي تكفي طالب العلم ليحصل ما يحتاج إليه منه، فيسد به حاجاته، في التعرف على أوضاع بيئته الدينية والدنيوية، وتلبية متطلبات

مجتمعه، ويحسم في القضايا المرتبطة بالمواقف العقلية
والشرعية، في تنظيم العلاقات، وأمور العبادات، إما
بالفتوى، أو بتولي القضاء، أو ممارسة العدالة، وإما
بالقيام بالخطابة، أو الإمامة، أو إدارة مجالس الوعظ،
أو الدرس.

وهكذا تتنوع هذه المراكز حاضرة وبادية إلى مدارس
وزوايا نجمل الحديث عنها فيما يلي : ↩

(❖) البحث في أصله مقتطف من الأطروحة الجامعية
التي أنجزها الباحث تحت عنوان : "حركة الأدب في
المغرب على عهد المولى إسماعيل / دراسة في المكونات
والاتجاهات".

أولا : مراكز العلم والتعليم في البادية
أ - التعريف والعرض :

أما في البادية فيستمر ذلك الحضور العلمي الذي شهدته بادية المغرب السعودي، مع مراكز الزوايا الشهيرة، حلقات الشيوخ القائمة بها، ومجالس العلماء الوافدين إليها، فتظل البادية نشيطة بحركة العلماء ودرس الشيوخ، وتيسير المناخ الملائم لتلبية رغبات المتعلمين، والقادمين إلى حلقاتها من طلبة العلم من مختلف الجهات والنواحي، بل ويتركز العمل العلمي وأكثر في هذه المراكز البدوية بزواياها، ومدارسها وحلقات شيوخها، فتستحدث بجانبها مراكز أخرى سيكون لبعضها شأن كبير في تيسير الثقافة العلمية والأدبية، وتوجيهها لتخرج منها أصحاب المستويات العالية من ممارسي العلم والأدب، ولتصنع وجه الثقافة والعلم في مغرب القرن الثاني عشر وما يليه.

وهكذا كان من هذه المراكز البدوية ما يتمثل في :

1 - منطقة تافيلالت ومراكزها العلمية، وكانت تافيلالت منذ القدم منطقة علم ومجالس درس،(1) وقد سبق لليوسي أن جلس إلى حلقات شيوخها أثناء مرحلة الطلب، فاستفاد وأفاد.(2)

واستمر بسجل ماسة مجلس الالرس وءلقة العلم مع
أءمء الءبب الصءبب، وأءبه مءمء صالء، وءم
اشءهر عنءهما ءرس الءءبء والأءب. (3)
وبف سءلماسة وبف مءارسها نبء القاضب عبء الملك
الءءموءءب (ء : 118)، وأءمء بن عبء العزبز الءلالب
(ء : 1175)، وغبههما، وكان لهما ءور كببرفب ءنشبء
الءرس العلمب ببلببهما.

2 - منءقة سوس وءمء ءمءل فبها مءموءة من المراكز
العلمبب الءب ءوزعء بف مءءلف المناءق السوسبب، وبف
بواءبها، وءم نشء العلم فبها مع العءبء من الشبوء
الءبب ماربسا العلم ءءربسا وءألبفا، مءل ءلقءب أءمء
العباسب السملالب (4) (ء : 1152)، وأءمء الصوابب،
وءم ءءرب بهما أكءر العلماء والمءفقهة بسوس ءلال
القرن الءانب عشر للهءرة. (5)

وءلقة ءافبالبء بف زاوبة ابن عبء المنعم المنانب، (6)
وءم اشءهءء مع شبءها المبرز الأءبب مءمء بن أءمء
ابن إبراهبم الءفنكلءب المراكشب. (7)

وحلقة العثمانيين بتاكرست، وقد اشتهرت بدرس
الحديث وروايته، لیتسع نشاطها العلمي، ويكثر

1 - راجع "الحركة الفكرية" لحجي، 520/2 وما
بعدها.

2 - راجع "فهرسة اليوسي" : 35 حيث ترجمة
شيوخه السجلماسين وقراءته عليهم، وراجع
المحاضرات 43، 300.

3 - راجع عن نشاط الدرس عند الرجلين : "فهرسة"
محمد صالح الحبيب : 304 وما بعدها، وفهرسة يحيى
البكري الجراري 311 مخ خ ع : ج: 71، وفهرسة
التسكدلتي 18، وقد ضمن "فهرسة" الحضيكي / مصورة
خاصة، وفهارس علماء المغرب : 754/3.

4 - راجع عن حلقة أحمد العباسي : "فهرسة"
الحضيكي : 79، و"فهرسة" التسكدلتي : 5، و"الإعلام"
للمراكشي : 377/2، و"المعسول" : 414/18.

5 - راجع عن الصوابي وحلقته : "الفهرسة" الحضيكي
،75، "فهرسة" التسكدلتي:3، "خلال جزولة" :34/4
وما بعدها، "المعسول" :86/8.

6 - هي زاوية قامت مع سعيد بن عبد المنعم المناني (ت
:954) وولده العالم عبد الله المناني (ت :1012) /
راجع "رحلة الوافد" : 332، و"الحركة الفكرية"
لحجي :559/2.

7 - كان حيا عام 1134، وكان قد خرج من مراکش
هاربا عقب فشل ثورة الأمير محمد العالم ومقتل والده
العالم أحمد بن إبراهيم المراكشي فيمن قتل من العلماء
الذين كانوا يمثلون حاشية الأمير المذكور.

راجع عن نشاط زاوية تافيلالت ودرس شيوخها :
"رحلة الوافد" : 298، 318، وتنفرد "رحلة الوافد"
بترجمة المذكور، وإيراد نماذج من أعماله الأدبية.

تلامذتها والمستفيدون من حلقات شيخها محمد
العثماني (ت : 1134)، وولده محمد بن محمد
العثماني (8) (ت : 1167)، وغير هذه الحلقات.
وقد كان لسوس بكثرة مراكز الدرس بها ظهور علمي
وأدبي، وإنتاج كبير في ميدان التأليف بمختلف
اتجاهاته العلمية والأدبية.

3 - منطقة الشمال حيث قام بها عدد من مراكز العلم
والدرس يساهم في نشر العلم بها شيوخ من المنطقة سبق
لهم أن تخرجوا من مراكز الحاضرة فاس أو غيرها.
وشيوخ وفدوا إليها زائرين أو مقيمين، فوجدوا من
الطلبة ما كونوا به حلقاتهم العلمية، وغالبا ما كان
هذا النشاط العلمي يقوم مع مراكز الزوايا المستحدثة
في شمال المغرب خلال القرن الحادي عشر، لتصنع
مراكز العلم بهذه المنطقة، ويستمر حضورها في واجهتي
العلم والتصوف إلى ما بعد ذلك.

أ - فيبرز النشاط العلمي بزواوية مولاي عبد الله
الشرف (9) (ت : 089) بوزان، حيث استأثرت بحضور
علمي عند هذا الشيخ المؤسس للزواوية، وقد تصدر

للتدريس بها، ومع خلفه الذي كان له مجلس علمي يحضره كبار الأئمة وأعلام العلم (10)، ومع جماعة تلامذته، مثل الشيخ عبد الكبير عليوات الزجني، (11) ومع بعض أحفاده مثل الشيخ المكي بن محمد بن عبد الله الشريف دفين الرباط (2) (ت: 1150)، وأخيه الأديب الشاعر الراضي (13) (ت: 1150) بالرباط أيضا، وقد كان للأخوين نشاط علمي بارز حصل به على إجازات الأشياخ في رحلتها المشرقية. (14) وقد قام بهذه الزاوية أيضا الدرس العلمي حيث حلق العلماء الوافدون على الزاوية، مثل الشيخ محمد المشاط وغيره. (15)

وارتبط الكثير من أدباء العصر وشيوخه بهذه الزاوية ورجالها، فكانت لهم زيارات جماعية منتظمة إليها، وشاركوا بأشعارهم في حفلات ختم المصنفات في حلقات التعليم بها، (16) وصنعوا القصائد مدحا أو رثاء لشيخها. (17)

ب - وتبرز زاوية "تازورت" بجبل العلم، (18) حيث يتصدر العديد من العلماء للدرس وتنشيط حلقة العلم

بها، فيتخرج على يدهم العديد ممن تصدر في العلم
والأدب، وقد كان "جبل العلم" مقصد الكثير من
العلماء ←

-
- 8 - راجع عن نشاط هذه الزاوية ورجالها : "فهرسة"
محمد العثماني : 201 - 204 ضمن كناشة
الحضيكي، و"رحلة الوافد" : 261، 310، وراجع
"فهارس علماء المغرب" : 755/3.
- 9 - راجع عن مولاي عبد الله الشريف : "الروض
المنيف" : 4 - 34 مخ خاصة، "فهارس علماء المغرب" :
732/3 و"المراجع المذكورة"، "الحركة الفكرية" لحجي
: 473/2.
- 10 - حسب صاحب "الأنيس المطرب" : 145.
- 11 - كان حيا عام 1099 وترجمته في مقدمة كتابه
"سراج الغيوب" : مخ.خ.ع : 455 ك، "الروض المنيف"
في غير موضع، "الحركة الفكرية" لحجي : 474/2،
"الخزانة الصبيحية" 508.

- 12 - ترجمته في "الروض المنيف" 61، و"الاغتباط"
340.
- 13 - ترجمته أيضا في : "الروض المنيف" : 65 وفيه
بعض أشعاره.
- 14 - راجع نصوص الإجازات في : "الروض المنيف" :
61.
- 15 - راجع "ديوان" علي مصباح : 79.
- 16 - راجع "مختصر اليتيمة" : 127 / مصورة
خاصة / وقد سجل رحلة الشيخ الصالح الشرقي لزيارة
شيخ وزان، وبرفقته الشاعر محمد بن زاكور، والأديب
الطبيب لعبد القادر بن شقرون الكناسي.
- 17 - راجع "ديوان" علي مصباح، 115، و"نشر المثاني"
: 222/3، وراجع أيضا : "الأنيس المطرب" : 141،
و"شعر ابن الطيب العلمي" : 109.
- 18 - راجع عن زاوية تازورت ونشاطها العلمي : "فتح
التأييد" للحسن بن ريسون، كله، "فهارس علماء المغرب"
462/3، و"حقائق عن زاوية تازروت" : 9 وما بعدها،
وراجع أيضا "الروضة المقصودة" : 524، مصورة خاصة

وما بعدها، و"الحركة الفكرية" لحجي : 465/2 عند
ترجمة محمد بن علي بن ريسون / والمراجع التي يحيل
عليها، وراجع "النشر" : 148/1.

الوافدين إليه، فكان منهم من يتولى الدرس، وإقامة
حلقاته العلمية، (19) غير أن استمرارية الدرس كانت
مع المستقرين بزاوية تازورت.

وقد برز بين هؤلاء المدرسين الشيخ محمد بن حيون
الخمسي(20) (توفي حوالي منتصف القرن الثاني
عشر)، صاحب "شرح الصلاة المشيشية" المشهور المتداول،
والتهامي ابن أبي الخازن الحسن بن الإدريسي، والشيخ
شعيب المطيري، وهما معا من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم
الشيخ محمد الجنوي أثناء دراسته بتازورت، (21)
والشيخ محمد بن سعادة الخمسي، (22) والشيخ
المجنوب العمراني، والشيخ الأديب الشاعر علي شطير
الحساني نزيل تطوان، والشيخ عبد العزيز بن رحمون
(23) وغيرهم. وهؤلاء يمثلون المشيخة التي كانت
مقصد الرحلة في هذه المنطقة خلال منتصف القرن
الثاني عشر، وقد تصدرت مدة للتدريس بزاوية

تازورت، فأخذ عنها الشيخ محمد بن الصادق بن
ريسون، وعرف بها في فهرسته وكانت محل اهتمام يفد
إليها الطلبة للأخذ عليها والاستفادة منها.
ج - وتبرز بينها "زاوية الحرايق" مع أبناء البقال، إذ
تصبح هذه الزاوية مقصد العلماء والوافدين منهم
لزيارة "جبل العلم" يتقدم للدرس بها من أهلها
والطارئين عليها من رجال العلم، ويفد إليها لطلبة
للقراءة والاستفادة، فيرد من بين المتصدين للتدريس
بها وبنواحيها الشيخ الأستاذ محمد بن سعيد المرغيثي،
إذ يحيل في فهرسته على درسه هذا، مشيراً إلى ما صدر
منه من شعر عندما انقطع عن الحضور إليه بعض
أعيان هذه المنطقة من العلماء فقال : "ووقعت بيني
وبين الشريف الحسن أبي الحسن النجار بجبال غمارة
وحشة، فانقطع عن مجلسي، فكتبت إليه
مستعظفاً". (24)

ويرد بين الزائرين المقيمين مدة طويلة في ضيافة
الشيخ عبد السلام الحاج المفضل البقال "بالحرايق"
الشيخ أحمد بن عبد القادر التستاوتي، (25) الذي كان

كثيرا ما يقيم بهذه النواحي، ولا شك أنه كان له
هناك، وفي إقامته الطويلة، حضور مع الطلبة والشيوخ،
وإقامة مجلس درس ووعظ وخطاب.

وقد كان للشيخ اليوسي إقامة بهذه الناحية، وبخاصة
في "جبل الزبيب" حيث شده استقراء لهجة الأهالي من
سكان "جبل الزبيب" واستخلاص القواعد المنظمة
للظواهر المثيرة في هذه اللهجة. (26)

ومن بين الزائرين الذين مارسوا التدريس ونشروا العلم
في هذه الزاوية، الشيخ قاضي مكناس عبد الوهاب بن
الشيخ، فيذكر الشيخ التاودي في فهرسته أن القاضي
المذكور أصابه خلل في عقله، فأقام بزاوية "الحرائق"
عند الشيخ أبي محمد عبد السلام المفضل البقال مدة،
حتى رد الله عليه عقله، وكان شرط عليه أن يقرئه
"تلخيص المفتاح" إذا هو برئ وشفاه الله، ففعل، ووفاه،
بل كان لا يكاد يفارقه حتى توفاه الله" (27) سنة

- 19 - راجع "الروضة المقصودة" : 386، وقد سمي مجموعة من العلماء كانوا "بجبل العلم" في وقت واحد.
- 20 - راجع عن ابن حيون وشرحه "للصلاة المشيشية" : محمد المنتصر الريسوني : 180 / دعوة الحق / عدد 4 - سنة 12، و"معلمة" بن عبد الله : 84/1، و"الشرح المذكور" مخ خ ع : د : 952.
- 21 - راجع "الروض المنيف" : 385، 387، حيث أجازته محمد بن الصادق بن ريسون للشيخ علي الوزاني.
- 22 - راجع "فهرسة" التاودي بنسوده : 43.
- 23 - راجع "فهرسة" محمد بن الصادق بن ريسون : 2 وما بعدها.
- 24 - راجع "فهرسة" المرغيثي : 291 / مخ خ الحمزاوية، وراجع عن أبي الحسن النجار : "فتح التأييد" لابن ريسون : 94.
- 25 - "الروضة المقصودة" : 474، وراجع ترجمة الشيخ البقال المذكور في "فهرسة" التاودي بنسوده : 41.
- 26 - راجع "المحاضرات" : 166.

27 - "فهرسة" التاودي بنسوده : 42، وراجع
"الروضة المقصوده" : 479 /تنظر ترجمة القاضي
عبد الوهاب ابن الشيخ المكناسي في : "تقييد في عائلة
البيجريين" : 9، 21 - نسخة مرقونة، "مختصر
اليتيمة" : 68، "فهرسة" التاودي بنسوده : 42،
"الروضة المقصوده" : 479، "الإتحاف" لابن زيدان
: 397/5.

4 - وفي موسطة المغرب وجبال الأطلس تقوم مجموعة
من المراكز العلمية، فتمثلها بالدرجة الأولى :
أ - حلقات زاوية الدلاء، (28) وقد تولى التدريس
فيها كبار علماء المغرب وأدبائه، مثل الشيخ محمد
المرابط الدلائي، وأبي علي اليوسي، وغيرهما.
ورغم أن زاوية الدلاء كان الأمر قد انتهى بها إلى
الزوال على عهد المولى إسماعيل، (29) فإن استمرار
وجودها العلمي ظل يسطع مع جماعة شيوخها الذين
نزلوا فاس من أبنائها الدلائيين، وغيرهم. فتعددت بها

حلقاتهم، واشتهرت مجالس درسههم، وبخاصة ما كان منها في اللغة والأدب - والأدب سجية الدلاء - مع حلقتي محمد بن أحمد المسناوي (ت: 1136)، ومحمد بن أحمد الشاذلي (ت: 1137) وغيرها.

وظل كذلك مع تلامذتها الذين توزعوا مختلف مناطق المغرب مع أبي علي العكاري بعدوتي الرباط وسلا، وأحمد الولايلي بمكناس، وعبد الرحمن ابن حمدان، وأحمد بن عبد القادر القادري بفاس، وأحمد الجزولي أحزي بدرعة، وغير هؤلاء. (30)

ب - وبجانب زاوية الدلاء كانت زاوية الصومعة، (31) وقامت بها حلقات علمية يمارس التدريس بها شيوخها من أبناء تادلا، ولا سيما الشيخ محمد بن عبد الرحمن الصومعي (32) (ت: 1123)، وهو ممن سبق له الأخذ بالدلاء، وحضور حلقات الشيوخ بها، والتخرج عليهم في العلم والأدب، فكانت حلقاته بالصومعة عامرة، وكثر طلبته والآخذون عنه.

وقد وصفه الولائي بأنه "مقبل على ما يعينه من العلم والعمل، تخرج عليه في العلم ناس من أصحابه، وتهذبت بمصاحبته أخلاقهم". (33)

ولم يشغله الدرس عن التأليف فكتب شروحا للهمزية البوصيرية وسينية ابن باديس. (34)

ج - ومع هذه الزاوية وحلقها العلمية، كانت هناك حلقة الشيخ علي بن عبد الرحمن الدراوي (35) (ت: 1091)، يقيّمها بزاويته، حيث كثر أتباعه وتلامذته، ومريدوه، وقد سبق لهذا الشيخ أن حقق العلم بزاوية الدلاء، حين جلس إلى شيوخها، وغشي حلقاتها، وحقق سر الولاية بوراثته الشيخ محمد بن محمد الواوزغتي (7) الدادسي التادلي (ت: 1062)، واتسعت حلقاته فاتسمت - زيادة على العلم - بمجالس الوعظ والتذكير. ←

28 - كانت الزاوية الدلائية، تاريخا وأدبا، محور دراسات جامعية، مثل "الزاوية الدلائية" للدكتور

محمد حجي، "الشعر الدلالي" للدكتور عبد الجواد السقاط، وغيرها.

وقد أفردت الزاوية الدلالية بالتأليف أكثر من مرة، وأشهر ما ألف فيها كتاب "البدور الضاوية" من تأليف أبي الربيع العلمي الشفشاوني الحوات.

29 - خربت الزاوية عقب سقوطها عام 1079 ونقل علماءها إلى فاس بقصد التدريس بها / راجع "الزاوية الدلالية" لحجي : 235.

30 - سترد الإحالة على مظان ترجمة هؤلاء فيما يلي من مواد هذه البحث.

31 - راجع عن زاوية الصومعة : "الحركة الفكرية" لحجي : 504/2.

32 - ترجمته في : "مباحث الأنوار" : 96، "نسمة

الأس" : 6 أ مخ خ ح : 8787، "الزهر الباسم" : 70 أ مخ خ ح : 685، "نشر المثاني" 211/3، "التقاط الدرر"

: 307، "الأعلام" للمراكشي : 47/6، "الزاوية

الدلالية" لحجي : 121، "الحركة الفكرية" لحجي

: 2، "الفقيه أبو علي اليوسي" للمدغري : 372.

- 33 - راجع "مباحث الأنوار" : 96.
- 34 - من شرحه "للهمزية" عدة مخطوطات، منها : مخ
خ ع : ك 232 - ج 1028 - ج 895.
- 35 - ترجمته في : "دوحة البستان" للزبادي محمد /
مخ خ ع : د 390، وهو خاص بترجمته ومناقبه "مباحث
الأنوار" : 187 والمراجع المذكورة بالهامش، "الصفوة"
: 184، "شرح نظم ممتع السماع للتستاوتي : 323/1
ضمن "نزهة الناظر"، "الدرر المرصعة" : 296، "طبقات
الحضيكي" : 237/2، "النشر" : 290/2، "التقاط
الدرر" : 219، "الأعلام" للمراكشي : 213/9.
- 37 - ترجمته في : "صفة الخلف" : 466، "ممتع
الأسماء" : 187، "الصفوة" : 83، "النشر" 60/2،
"التقاط الدرر" : 132، "الزاوية الدلائية" : 55.

وقد تولى تدريس العلم بهذه الزاوية غير واحد من
أصحابه، مثل محمد بن مسعود المراكشي (38) (ت
: 1009)، إذ يذكر عنه الولالي أنه "لم يزل عنده

محبيا مكرما، مقدما للإمامة بمسجده... وبقي على
حاله في جوار الشيخ ابن عبد الرحمن زمانا
طويلا". (39)

وقد تميز بين أتباعه طائفة من العلماء والأدباء،
أكثرها من قول الشعر في مدح الشيخ أو رثائه. (40)
5 - وبموازاة هذه الزوايا التي اشتهرت بالعلم
والتعليم، كانت هناك زوايا أخرى في مختلف مناطق
المغرب، لم يشتهر أمرها بالصورة المثيرة، أو تكتسب
موقعها بين المراكز المهمة في هذا العصر، وإن جرى بها
الدرس وقامت حلقاته، ولذلك ظل أثرها العلمي
والتعليمي محدودا لا يرقى به الصنيع التعليمي إلى
تخريج عالم كبير أو أديب شهير.
إلا أن أشهر مراكز العلم في البادية، وأكثرها نشاطا في
الدرس، وحركة في التأليف، وإنتاج للأدب في هذا
العصر وما يليه، هو ما تمثل في الزوايا الثلاثة الكبيرة
الشهيرة، وهي :

- الزاوية الناصرية بدرعة.

- والزاوية الشرقاوية بأبي الجعد.

والزاوية العياشية بأيت عياش.

وسنفضل الحديث على هذه الزوايا، ونشاطها، ودورها

في العلم والأدب، درسا وتأليفا وإبداعا فيما يلي :

1 - الزاوية الناصرية :

تبدأ "زاوية تامكروت الناصرية" بدايتها العلمية حين

استقر محمد بن ناصر الشيخ في كنف الشيخين : عبد

الله بن حسين، وأحمد بن إبراهيم الدرعي عام

1040، فقد رغباً منه أن يتصدر عندهما لنشر العلم،

وإقراء الطلبة إحياء لنشاط "زاوية سيد الناس"

المجاورة "لتامكروت".

وقد أصبح الشيخ محمد بن ناصر خليفة الشيخين

المذكورين على الزاوية، وذلك بعد وفاة آخرهما أحمد

بن إبراهيم عام 1052، بعد أن مكث بحضرتهم اثنتي

عشرة سنة.

وقد تميز نشاط الشيخ محمد بن ناصر بتدريس

مختلف العلوم والفنون، فيذكر أخوه الحسين في

فهرسته مواد العلوم التي أقرأها، وحضر درسها عليه،

وقد كان يلازمه حلاً وترحالاً، وإقامة وسفراً، قبل أن

ينفصل عنه إلى سكن "زاوية أعلان" بقوله : " ختمت
على الشيخ الشقيق شمس المعارف سيدي محمد بن
ناصر "مختصر خليل ابن إسحاق" ست مرات،
و"الرسالة" مرة، و"التسهيل" لابن مالك خمس مرات،
و"شرحه لابن عقيل" مرتين، و"الأول من الرادي عليه"
مرة، و"كافية ابن الحاجب"، و"شرح الرضى الشريف"
مرة، و"اليدوني" مرة، و"الكراريس" مرة، و"الخرجية"
ثلاث مرات، و"ابن عطية على الفرائض" مرتين،
و"القلصادي" مرتين، وعلى الشيخ أيضا "الصغرى"
للسنوسي، و"شرحه عليها" ثلاث مرات، والجزائري
وشرح السنوسي" مرتين، و"الحوضي وشرح السنوسي
عليه" مرتين، و"الكافي في علم القوافي" و"المقدمة"،
و"شرح المؤلف عليها" مرتين، و"الألفية" لابن مالك
ثلاث مرات، و"الجرومية والمكودي عليها" ثلاث مرات،
و"ابن عباد على الحكم" مرتين، و"بعض الإحياء"
للغزالي، أخذته عنه و"سلاح المؤمن"، و"بعض الترغيب
والترهيب"، و"التمهيد" لأبي عمر بن عبد البر.

وختمت عليه البخاري زهاء ست مرات، ومسلما مرة،
وسمعت منه مواضع عن إيضاح أبي علي الفارسي ومن
الجميل للزجاجي، ومفصل الزمخشري. ←

-
- 38 - تنظر ترجمته في "مباحث الأنوار" : 111،
"الأعلام" للمراكشي : 646، الزاوية الدلائية" : 125.
39 - "مباحث الأنوار" : 113.
40 - راجع أسماء بعض هؤلاء الشعراء وأعمالهم
الشعرية في "الأعلام" للمراكشي " 215/9.

وقرأت عليه جمع الجوامع للسيوطي، وبعض الجامع
الصغير والجامع الكبير، وختمة من "كهيعص" إلى "من
الجنة والناس" برواية ورش وقالون، أداة وتفسيرا
وإعرابا، وكفاية المتحفظ نحو من خمس مرات،
والفصيح، وموطأ مالك، وتهذيب البرادعي، وبانت سعاد،
و"لامية العرب". (41)

وقد اتسعت عملية الدرس عند الشيخ ابن ناصر ليصبح
مقصد الطلبة من مختلف الجهات، وليمارس إقراء

بعض المصنفات التي انقطع تدريسها في البلاد المغربية آنذاك ، مثل "كتاب سيبويه" ، "وهو آخر من أقرأ كتاب سيبويه بالمشرق والمغرب". (42)

وحسب وصف تلامذته فقد "كان عديم النظير في العربية، يحفظ "التسهيل" عن ظهر قلب"، (43) واجتمع طوائف الطلبة، والراغبين في ذلك، فكان "رحمه الله مشاركا في فنون من العلم، كالفقه، والعربية، والكلام، والتفسير، والحديث، والتصوف، عابدا ناسكا، ورعا زاهدا، عارفا قائما بالطريقة، شاربا من عين الحقيقة، وكان رحمه الله مع إكبابه على علوم القوم وانتهاجه منهج الطريقة، لا يخل بالعمل الظاهر تدريسا وتأييفا وتقييدا وضبطا، فنفع الله به الفريقين، ونور به الجانبين، وصحبه الناس شرقا وغربا، فانتفع به الخلق..". (44)

ولذلك كان مقصد طالبي العلم من ناحية درعة وغيرها، فنزل عنده من شيوخ العصر أبو علي اليوسي، واستفاد منه في علوم اللغة والأدب، وأبو العباس التستاوتي، وبهلول البوعصامي، ومبارك الغريفي

العنبري، والقاضي عبد الملك التجموعتي، وأخواه أحمد
ومحمد، وإبراهيم الهشتوكي وغيرهم. (45)
واستجمعت الزاوية الناصرية موقعها ونفوذها العلمي
والديني والاجتماعي معه، فكان يفتد إليه الشيوخ
الذين حلّوا بالدرس في زاويته، مثل محمد بن سعيد
المرغيثي الذي درس العلم هناك، فاستفاد منه الشيخ
وتلامذته، رواية ودراية، وكان ينطلق من نفوذه الديني
والاجتماعي، فيكاتب السلاطين والقضاة والولاة،
ينصحهم وينبهم، ويتشفع لديهم فيمن يراه أهلاً
للشفاعة في منطقتة، فهابه الجبابرة، واحترمه الخاص
والعام، واستمعوا إلى نصيحته، وعملوا بتوجيهه.
وكان له في ذلك أيضاً مشاركة في المواقف الفكرية،
وتوجيه إلى ما هو في الصالح منها. فألف المصنفات
العديدة في التربية وتصحيح العقيدة، وكتب التقايد
الكثيرة في الانتصار للسنة، (46) وحث غيره من
تلامذته وأتباعه على فعل ذلك، فشرحوا أعماله
الموجزة، ووسعوا الحديث فيها، وكتبوا بإذنه رسائل
التصحيح وتقويم المواقف المعوجة، كما فعل مبارك

الغريفي في تأليفه الذي رد فيه على محمد بن عمر
السجلماسي، الذي كان يكفر الناس الذين لا يعرفون
التوحيد من أهل سجلماسة. (47) ⇐

41 - راجع "فهرسة" الحسين بن ناصر : 1 / نسخة
مرقونة خاصة.

42 - راجع "قرى العجلان" لأحزى : 443 ضمن
كناشة الحضيكي.

43 - قرى العجلان : 443.

44 - "فهرسة اليوسي" : 43 / مخ خاصة.

45 - راجع لائحة التلاميذ في "الدرر المرصعة"

: 341، و"دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية"

للمنوني " 22 / وسترد الإجابة على مظان ترجمة

هؤلاء المذكورين فيما يأتي من حلقات هذا البحث.

46 - راجع لائحة مؤلفات الشيخ محمد بن ناصر في

"الدرر المرصعة" : 351، و"طلعة المشتري" : 313/13

وما بعدها.

47 - عن هذه القضية راجع "المحاضرات" لليوسي
92 / توفى مبارك الغريفي قرب 1090 / تنظر
ترجمته في "الرحلة الناصرية" : 18/1، "شرح ممتع
الأسماع" للتستاوتي : 323/1 ضمن كتاب "نزهة
الناظر" : "المحاضرات" لليوسي : 300، "طلعة المشتري"
318/1.

ولمبارك الغريفي تأليف، منها شرحه "لمساعدة الإخوان
في العبادات"، لشيخه ابن ناصر / و"تأليف" في الرد
على محمد بن عمر السجلماسي الذي كفر الناس
بسجلماسة، وقد كتبه بدافع من الشيخ محمد بن ناصر
/ منه مخ خ ع : ق 1061.

وما كاد يغيب الشيخ محمد بن ناصر عام 1085، حتى
كانت الزاوية الناصرية تامكروت قد استقام أمرها
تدريسا وطريقة، إذ أصبح لها من الأتباع عديد من
طلبة العلم، وأصحاب الطريقة الصوفية في مختلف

مناطق المغرب، وأصبح كبار تلامذته يرعون طريقة
الانتماء إلى الناصرية والانتساب إليها، كما هو الحال
مع الشيخ أبي علي اليوسي، وأحمد التستاوتي وغيرهما.
واكتمل العمل العلمي في هذه الزاوية ليولد بجانبه
الأثر الأدبي، فيكون الارتباط بالشيخ ابن ناصر،
والانتماء إلى زاويته، والانتساب إلى طريقته
الصوفية، مدعاة للإنتاج الأدبي في قرض قصائد المدح،
أو صياغة شروح أدبية.

وهكذا تحتفظ المصادر بمجموعة من أشعار المدح
المختلفة، مما قيل في الشيخ ابن ناصر أو ببعض
شروحها الأدبية، كما هو الأمر في "نيل الأمانى في شرح
التهانى".

ومع خلفه الشيخ أحمد بن ناصر (48) تتخذ الزاوية
الناصرية منطلقا أكثر اتساعا في مجال العمل العلمي
والأدبي، إذ تحول الزاوية مما تمثل فيها من حركة
علمية منطقة درعة والجنوب المغربي عامة إلى مركز
إشعاع علمي، يتداول نشر العلم به، والتحليق بدرسه
فيه، ومجموعة من العلماء تلامذة الشيخ محمد بن

ناصر، من أبنائه وغيرهم من الوافدين على درعة،
فتزدهر الحركة العلمية، وتتعدد مجالسها مع أحمد بن
ناصر، وبعض إخوته، ومع أصهاره الحسن ابن شرحبيل،
وأحزي، وأبي إسحاق الدرعي و... وغيرهم كثير.

ويزداد هذا العلم العلمي حضورا مع رجال الزاوية
الذين خلفوا (49) الشيخ أحمد بن ناصر، أو تعاقبوا
على المشيخة بهذه الزاوية، فكان لأحفاد بني ناصر،
وأهل درعة - ومعهم القادمون من سوس وتافيلالت
والأطلس - همة في العلم، ونشره، والتحقيق به في
درعة عامة، وزاويا تامكروت خاصة.

وقد أدى هذا إلى أن تتظافر الدوافع وحضور المعالم
المنشطة للعلم في مركز الزاوية، والترغيب فيه، درسا
وتأليفا، فيكثر بذلك العلماء والمشتغلون بالعلم، ويغزر
الإنتاج التأليفي، وإلى أن تتعدد المظاهر المحركة للعمل
الأدبي والمكونة لأعماله وإنتاج رجاله، لتجري حركة
أدبية بموازاة ذلك النشاط العلمي.

فكان من مظهر والمعالم ما يلي :

1 - ممارسة عملية التدريس، واتساع مجال الدرس
بكثرة الشيوخ المدرسين، ووفرة الطلبة المستفيدين.
وهذا هو الجانب المهم الذي اضطلعت به الزاوية
الناصرية، والمظهر الذي تركز عليه نشاطها بالدرجة
الأولى، إذ كان التعليم وممارسة الدرس السمة التي
ميزت نشاط هذا المركز.

فقد تركز نشاط الزاوية الناصرية التعليمي أثناء
مدة الشيخ محمد بن ناصر (ت: 1085) على الحلقة
التعليمية التي أنشأها هذا الشيخ بالأساس، فدرس
اللغة والأدب والحديث، وغيرها، من فنون العلم التي
أدار حلقاته بها، وقد استفاد منه غير واحد من طلبة
هذا

48 - راجع ترجمة أحمد بن ناصر في: "الرحلة
الناصرية" من تأليفه "الروض الزاهر": 57 ب، "الدرر
المرصعة": 57، "نزهة الناظر" للتستاوتي في غير
موضع، "فهرسة" إدريس المنجزه: 50 / مخ خ ع ؛
د1838، "الصفوة": 221، "النشر": 234/3، "طلعة

المشتري" : 17/2 وما بعدها، "الأعلام" للمراكشي
: 357/2، "الحياة الأدبية" للأخضر : 172 والمراجع
المذكورة : "فهارس علماء المغرب" : 743/3 والمراجع
المذكورة، "الدرة الجليلة" وهو في مناقبه وترجمة
أتباعه.

49 - راجع عن تولية أمر الزاوية الناصرية بعد
أحمد بن ناصر في : "طلعة المشتري" : 128/2، و"الدرة
الجليلة" : 80، و"الدرر المرصعة" : 455 عند ترجمة
الشيخ موسى بن محمد الكبير بن ناصر.
العصر، من درعة، وتافيلالت، وسوس، والأطلس، وغير
ذلك. (50)

وكانت مجالات هذا الدرس تنفتح في بعض الأحيان
على حلقات بعض شيوخ الوفدين، مثل حلقة الشيخ
محمد بن سعيد المرغيثي، وقد أقام مدة بالزاوية لائذا
بها من الفتن التي واجهت بلده المراكشي، وعلى حلقة
الشيخ الحسين بن ناصر، أخي الشيخ المذكور، فأقام
حلقاته التعليمية بحضرة زاوية تامكروت مرة،
وبزاويته بأغلان حيث إقامته وسكناه مرة أخرى،

فأخذ عنه فيرواحد من أبناء الشيخ ابن ناصر،
والوافدين على الزاوية من طلبة العلم، وأكبر
المستفيدين منه في ذلك هو الشيخ أحمد الجزولي
أحزي، الذي عرف به في فهرسته "قرى العجلان"
واعتبره من شيوخه المعتمدين في العلم والدرس. (51)
واتسع نشاط الدرس على عهد الشيخ أحمد بن ناصر (ت : 1129) لتعدد الحلقات التعليمية، فيمارس
التدريس بجانب أحمد بن ناصر، الذي كثر تلامذته
والآخذون عنه - مشاهير العلماء والمدرسين، في
مقدمتهم أخوه عبد الله (52) بن الشيخ محمد بن
ناصر (ت : 1091)، وكان طول عمره يدرس بالزاوية،
كثير التقيد، أديبا، له أشعار جيدة.
والأستاذ أبو إسحاق إبراهيم الدرعي (53) السباعي،
وهو من أكابر طلبة الشيخ محمد ابن ناصر، استقر
يدرس بالزاوية الناصرية بعد أن لقي الشيوخ في
رحلته إلى المشرق، فجلس إليهم طويلا واستفاد العلم
والإجازات، واشتهر بالأستاذية في الزاوية الناصرية،
فكان أستاذ الجيل، إذ أخذ عنه أبناء الزاوية وغيرهم،

ووفد عليه الطلبة والتلاميذ "من كل فج عميق للأخذ والتعلم، فانتفع به خلق كثير من الطلبة". (54)

والشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر السويدي المكناسي نزيل الزاوية، حيث اشتغل بالتدريس بها. (55)

والشيخ عبد الكريم بن علي التدغي، وقد استقر بالزاوية أيضا، فدرس (56) بها علم التوحيد والحديث والأدب، وأخذ عنه العديد من أبناء الزاوية، وكانت له مشاركة أدبية واسعة في قول الشعر.

والشيخ عبد الكبير الدرعي القاضي (57) (ت: 1146) وقد تخرج بشيوخ الزاوية الناصرية، وتولى قضاء الجماعة بدرعة، ومارس الدرس والإقراء، فأخذ عنه كثير من طلبة درعة، واشتهر بفتاويه، وأشعاره. (58) ←

50 - تقدمت الإحالة على أسماء تلامذته المشاهير /راجع ما تقدم : هامش 54، وراجع "الدرر المرصعة" : 341، و"حضارة وادي درعة" للمنوني : 22 ضمن

مقدمة " دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية
بتامكروت".

51 – "قرى العجلان" : 445 / توفى الحسين بن ناصر
عام 10921 / ترجمته في فهرسته كلها : نسخة
مرقونة نقلًا عن مخ خ ع بتطوان : 10 / 343، ومخ خ ع
: ج 506، "قرى العجلان" : 445، "فتح الملك الناصر"
: 2 / مخ خ ع : ك 323، "الروض الزاهر" : 42 ب / مخ
خ ح : ز 11861، "الدرر المرصعة" : 151، "النشر"
: 279/2/2، طلعة المشتري" : 127/1، "الإعلام"
للمراكشي : 200/3، "دليل بنسودة" : 315/2،
"فهارس علماء المغرب" : 734/3.

52 – راجع ترجمته في "الدرر المرصعة" : 230،
"الدرة الجليظة" : 70، "فتح الملك الناصر" : 22، "طلعة
المشتري" : 7/2.

53 – توفى عام 1138 / ترجمته في مجموع إجازاته
: مخ خ ع : ق 280 كله، "الدرر المرصعة" : 131،
"فهارس علماء المغرب" : 747/3 والمراجع المذكورة.
54 – "الدرر المرصعة" : 133.

55 - راجع " الدرر المرصعة " : 248.

56 - راجع " الدرر المرصعة " : 249 / توفى عبد

الكريم التدغي عام 1132 / ترجمته في " الدرر

المرصعة " : 249، " الروض الزاهر " : 70 ب، " النشر " :

239/3، " طلعة المشتري " : 12/2.

57 - ترجمته في " الدرر المرصعة " : 252، " الروض

الزهر " : 181، " الدرّة الجليلة " : 119، " طلعة

المشتري " : 120/2.

58 - ما يزال العديد من أشعاره في : " الدرر المرصعة "

: 253، و" الروض الزاهر " : 181.

والشيخ محمد بن أحمد الورزازي (59) نزيل درعة،

رحل إلى المشرق، واستفاد من شيوخه، واستقر بدرعة

حيث كان يدرس بالزاوية الناصرية في حياته الشيخ

أبي العباس المذكور، ودرس بعده طويلاً، (60) وارتحل

إلى المشرق حيث اشتهر بدرسه في مصر، وبها توفى عام

1138.

وأحمد الجزولي أحزي، (61) وهو أكثر العلماء تدريسا

وطلبة الزاوية بعد أبي إسحاق الدرعي السباعي، فقد

تخرج بالشيخ ابن ناصر، وباليوسي، وعلماء الزاوية
الدلائية، واستقر "بمدينة تغازي" على مشارف
السودان، حيث اشتغل بالتدريس، فأخذ عنه العدد
الكبير من طلبة الناحية، ثم استقر أخيراً بالزاوية
الناصرية في كنف أشياخها، فزاول التدريس والتأليف
والكتابة الأدبية شعراً ونثراً، واشتهرت حلقاته العلمية،
فأخذ عنه من أدركه من أبناء الزاوية، وغيرهم من
الوافدين عليها.

وأحمد بن سعيد (62) الكنسوسي (ت: 1164)، وقد
كان من تلامذة أحمد بن ناصر المقربين إليه، مارس
التدريس بالزاوية الناصرية، والإمامة بمسجدها
الكبير.

2 - إنشاء مكتبة الزاوية الناصرية :

ولكي يتم دور هذا المركز العلمي وأثره في التكوين، كان
لا بد من إنشاء مكتبة تهيئ للراغبين في العلم، من

الشيوخ والطلبة أصناف المؤلفات والمصادر التي يتم
الاعتماد عليها في التكوين والدرس والتأليف.
وهكذا كان للزاوية الناصرية مكتبة خاصة ضمن
عشرات الكتب والمصنفات، وسهر على تنميتها وتنظيمها
والاستفادة منها شيوخ الزاوية ممن تعاقبوا على
مشيخة الطريقة الناصرية بها، أو عملوا على التدريس
والتكوين بهذه الزاوية.

وقد قامت المكتبة الناصرية أول مرة مع الشيخ محمد
بن ناصر، فجمع بها من الكتب بالشراء والانتساخ،
وساهم أول مرة باستنساخه هو، مجموعة من المؤلفات
في اللغة والنحو والأدب، ما يزال بعضها قائما إلى
اليوم في خزانة الناصريين، أو بتصحيح بعضها والتعليق
على هوامشها.

ويذكر في "الدرر" نقلا عن "إنارة البصائر" لأحزي
الكييفية التي مارس بها الشيخ ابن ناصر إنشاء "مكتبة
الزاوية الناصرية" بقوله : " اشتغل بتعليم عباد الله،
والمطالعة، وجمع الكتب، نسخا وشراء، فنسخ بخط يده
الكريمة عدة كتب : منها "القاموس المحيط"

"القاموس الوسيط"، و"المرادي على التسهيل"، وبعض
"العقد" لابن عبد ربه، وفي تصحيح الكتب ومقابلتها،
وكتب الفوائد على حواشيتها وطررها، وخصوصا "نسخ
الصحيحين"، وقد رأيت كراريس عديدة لدى ولده
وخليفته الشيخ مولانا أبي العباس، وقاه الله وإيانا
مصارع الخزي والباس، على "صحيح البخاري" نافعة
جدا لو أتمها...". (63)

ومن الكتب التي انتسخها الشيخ أيضا كتاب "الأمالى"
لأبي علي القالي، و"المنصف من الكلام على مغني ابن
هشام" للشمني. (64)

وما يزال هذا الأخير مخطوطا بالمكتبة الناصرية تحت
رقم 637.

ويذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أنه وقف "من كتب
الزاوية على نسخة من "العقد الفريد" لابن عبد ربه
بخط يمينه، مؤرخا ختمه بالعربي
والعجمي...". (65) ←

59 - ترجمته في "الدرر المرصعة" : 449، "الروض
الزاهر" : 72 ب، "الدرة الجليلة" : 14، "الإعلام"
للمراكشي : 33/6.

60 - "الدرر المرصعة" : 449.

61 - ترجمته في "الحركة الناصرية" في غير موضع،
"فهرسته قرى العجلان" : كلها، "رحلته الكبرى" :
هداية الملك العلام" : كلها / مخ خ ع : ق 190، "الدرة
الجليلة" : 117، "الدرر المرصعة" : 28، "الروض
الزاهر" : 69 أ، "فهارس علماء المغرب" : 743/3
والمراجع المذكورة.

62 - يرد ذكره في غير موضع من "الدرر المرصعة" :
راجع 58.

63 - "الدرر المرصعة" : 342.

64 - المنوني في : "دليل مخطوطات دار المكتب
الناصرية بتامكروت" : 24.

65 - "دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية
بتامكروت" للمنوني : 29.

ثم بدأت المكتبة تنمو بما يقدمه شيوخ العلم والطلبة
للشيخ من الكتب هدايا إليه وإلى زاويته، فيذكر أن
الإمام أبا زيد عبد الرحمن المكناسي أهدى لشيخه ابن
ناصر المذكور، نسخة عتيقة رباعية من ثمانية عشر
جزءاً، رواية أبي ذر الهروي، ثم تنافس تلامذته :
اليوسي، والتجموعتي، والعياشي، وأبو الحسن (66)
علي المراكشي في ذلك، فجاء كل للشيخ بنسخة جيدة
مقروءة".

وقد اتسعت هذه المكتبة مع الخليفة أبي العباس أحمد
بن محمد بن ناصر، فشيّد لها مبنى خاصاً في الزاوية،
وجلب إليها الكتب والمصنفات شراء بالأحمال من
المشرق والمغرب، حتى إنه، حسب ما يذكر في حجته
الأخيرة، قد استلف وهو بمصر آلاف المئاقيل ليشتري
بها الكتب لخزانة الزاوية. (67)

وقد تحصل بهذا لدى الشيخ أحمد بن ناصر، وفي مكتبة
زاويته من المؤلفات الشيء الكثير، فلا تراه يتحدث عن
كتاب أو مؤلف إلا ويذكر ما لديه من مؤلفاته أو
مستنسخاته. (68)

وكان يكلف من ينسخ له الكتب بالأجر أو غيره، (69)
ويكاتب طلبته إلى الآفاق يستنجزهم نسخ بعض
الكتب، أو ينبههم إلى البحث عنها، والحصول على نسخ
منها، من ذلك ما كاتب به أحمد التستائوتى يستنجزه
العمل على نسخ "قصائد" أبي العباس الحلبي في "المدح
النبوي" كاملة. (70)

وفي مكاتبة أخرى يستنجزه نسخة من "مختصر خليل"
فيقترح عليه أن تكون "صغيرة الجرم جدا، مبينة
القراءة، لا رقيقة الخط جدا حتى لا تكاد تقرأ".
وفي مراسلة تالية لهذه يخبره بوصول ما كان قد بعثه
إليه، من نسخة "مختصر خليل" (71) ونسخة من كتاب
"الدلائل".

وقبل هذا كان الشيخ محمد بن ناصر يكاتب تلامذته
أيضا ليعثوا له بنسخ من كتبهم، كما في مراسلته لأبي
علي اليوسي يستنجزه تجريد نسخة من كتابه "زهر
الأكم" عام 1080، (72) وكان يرغب شيوخ العلم ممن
استقر بالزاوية ليتعاطى النسخ والوراقة، فانتسخ

بعضهم العديد من المؤلفات برسم الشيخ أحمد ابن ناصر. (73)

وازدادت المكتبة نموًا بما أضيف إليها من الخزائن الخاصة التي أوقف كتبها على الزاوية الشيوخ الذين كانوا يباشرون التدريس بها، مثل خزانة أبي العباس الجزولي أحزي، وخزانة أحمد بن إبراهيم الدرعي السباعي، وغيرهما. (74)

وقد سهل هذا العمل المكتبي للاستفادة منه النظام الذي اتبع في الحفاظ على كتب المكتبة وترتيبها، وطريقة الإعارة، والاستفادة منها، فيذكر أن الشيخ ابن ناصر حينما رتب هذه الكتب جعلها حسب العلوم التي تمثلها، فميز خزانة كل نوع من العلوم بعلامة تميزه عن غيره". (75) ←

66 – " دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية

لتامكروت" للمنونى : 25.

67 – المرجع أعلاه : 25.

68 - راجع "الرحلة الناصرية" : 71/1 عند حديثه

على أبي إسحاق الأجدابي ومؤلفاته ومنتسقاته.

69 - راجع " الرحلة الناصرة" : 28/1، حيث كلف،

وهو بكفيك، من ينسخ له شرحي " دلائل الخيرات "

و"تنبيه الأنام".

70 - راجع "نزهة الناظر" للتستاوتي 132/1.

71 - راجع "نزهة الناظر" للتستاوتي 132/1.

72 - راجع "إتحاف المعاصر في رسائل الشيخ ابن

ناصر" / من جمع محمد المكي بن ناصر : 2.

73 - راجع ترجمة عبد الرحمن السويدي في :

248.

74 - راجع " دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية

بتامكروت" للمنوني : 26.

75 - " الدرر المرصعة" : 59.

وقد تيسرت مع هذا عملية الإعارة، فأصبحت

الاستفادة من الكتب جارية لطالبي العلم، على اختلاف

مستوياتهم، من الشيوخ المدرسين والطلبة المتعلمين.

غير أن كل ذلك يتم بالزمام وتعهده ومراقبته كل سنة. (76)

ومع هذا أيضا أصبحت توصية الشيخ أبي العباس بن ناصر جارية التنفيذ فيما يخص المحافظة على كتب هذه الخزانة، فيذكر عنه قوله مخاطبا لأهله بخصوص المكتبة : " إن أنتم حفظتموها وتعاطيتموها كما هو المألوف، حفظها الله لكم، وجلب لكم غيرها والعكس بالعكس ". (77)

وهكذا تيسر في هذه المكتبة ما كان يمثل الانطلاقة الواسعة في عمليتي التدريس والتأليف، إذ هيأت للشيوخ والطلبة ما ارتفع به سوق الدرس العلمي، ووفر لأصحاب التأليف والتقيد من المادة ما سهل هذه العملية، فكان لشيوخ الزاوية وأساتذتها نشاط في كتابة المصنفات والتقاييد، فتهيأت الحوافز والدواعي عند أكثر رجال الزاوية لممارسة العملية العلمية الأدبية، والمساهمة في إنتاج تراث الزاوية في هذا المجال والحفاظ عليه من الضياع.

وبذلك كان مكتبة "الزاوية الناصرية" دخل كبير في تدعيم النشاط العلمي، بالدرس والتأليف عند رجال الزاوية، والقادمين إليها من درعة وغيرها، وكان لها تأثير واسع في تحريك العمل الأدبي بمنطقة درعة خاصة، وبمغرب القرن الثاني عشر عامة.

3 - تهيئ الرحلات الجماعية إلى الحج، وتيسير سبل الاستفادة العلمية أثنائها، بالجلوس إلى الشيوخ والاستفادة منهم :

وهي رحلات حجازية كان لها تأثير على المستوى العلمي للراجلين، باعتبارها مرحلة تعليمية تتهياً فيها ظرف الاستفادة من لقاء شيوخ المشرق والجلوس إلى حلقاتهم والفوز بروايتهم وإجازاتهم، وباعتبارها فرصة يحدث فيه التواصل الثقافى بين المغرب والمشرق، فيتم التعرف على ما أنتجه المشرق من تأليف، وما كتبه رجاله من أعمال وآداب، فيجلبون منها ما تيسر لهم، وينقلون إليهم بالمقابل ما أنتجه الشيوخ بالمغرب.

وقد أثمرت وقائع هذه الرحلات أعمالاً أدبية عند العديد من هؤلاء الراجلين، ترجم فيها الشعر استجابة

للمواقف النفسية المفاجئة عند مواجهة المصاعب أو
مقابلة المشاهد المقدسة، وتحرك فيها النثر ليستجيب
لبناء نصوص رحلات حجازية، تمثل فيما أنتجه
الشيخان أبو العباس أحمد بن ناصر، وأبو العباس
الهشتوكي الجزولي المعروف بأحزي. (78)
وقد ابتدأت رحلات جماعات وفود الزاوية الناصرية
مع رحلة الشيخ محمد بن ناصر عام 1070، وقد
صحب فيها أخاه الحسين "وزمرة من أولاده وجماعة من
أصحابه"، (79) ويرد في بضع المصادر إحالة على بعض
من رافق الشيخ من الأصحاب والطلبة. (80)
وتجددت هذه الرحلات الوفدية مع الشيخ أحمد ابن
ناصر، فكانت رحلته (81) الأولى بعد مدة من توليته
خلافة "الزاوية الناصرية" عام 1096، وهي ↵

76 – "دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية
بتامكروت" للمنوني : 27.

77 - " دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية
بتامكروت" للمنونى : 27 / نقلًا عن " المزايًا " لعبد
السلام بن ناصر.

78 - كلاهما له أكثر من رحلة حجازية أنجز فيها
أكثر من نص، وسيرد الحديث عليها بعد قليل.

79 - راجع " الدرر المرصعة " : 357.

80 - " الدرر المرصعة " : 358.

81 - لأحمد بن ناصر رحلة حجازية سابقة على
هذه، إنما كانت بصحبة والده الشيخ محمد بن ناصر
عام 1076.

رحلة رافقه فيها غير واحد من أهله وقرابته وأتباعه
:

في مقدمتهم ابن أخيه عبد الله بن محمد الكبير (82)
وأبو العباس الهشتوكي أحزي، (83) وقريبه أيضا ابن
أخيه جعفر ابن علي، (84) وابن عمه أحمد بن
الحسين، (85) وقد توفيا معا بالوباء ضمن مجموعة
كبيرة من الحجاج ببعض قرى طرابلس. (85)

وقد سجل أحمد بن ناصر وقائع هذه الرحلة، وظروفها وأحداثها، ومن لقي فيها من الأشياخ، وذكر من رافقه فيها من الأقارب والأصحاب والأتباع.

وتحدث عنها في "الدرر المرصعة" فقال: "وله فيها رحلة جليلة صغيرة الحجم غزيرة حسبا وقفت عليه بخط الإمام أبي العباس الجزولي (86) رحمه الله".

وقد أشار إلى ذكرها، والنقل منها في غير موضع من كتاب "الدرر المرصعة" (87) غير أنه لا تعرف اليوم نسخة لهذه الرحلة.

ونفس وقائع هذه الرحلة إلى الحجاز عام 1096، هي التي سجلها أبو العباس أحمد الهشتوكي الجزولي أحزي في رحلته الكبيرة المسماة: "هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام". (88)

وكانت رحلة الشيخ أحمد بن ناصر الثانية إلى الحجاز عام 1109، وقد رافقه فيها وفد كبير من أهل زاوية "تامكروت" الناصرية، وبعض قرابته وأصهاره وكثير من أهل درعة، فيبرز بينهم محمد بن أحمد الورزازي (89) المتوفى بمصر عام 1138، وأبو العباس البرنسي

الشفشاوني (90) ت : 1127)، والحسين ابن شرحبيل
البوسعيدي (91) ت : 1142).

وهي رحلة سجل أيضا الشيخ أحمد بن ناصر وقائعها
وأحداثها في نص وصفه من اطلع عليه بقوله : " وله
فيها أيضا رحلة عجيبة أكبر من الأولى، وقفت
عليها". (92).

وتكون الرحلة الثالثة هي التي أنجزها الشيخ احمد
ابن ناصر عام 1121، وبرفقته وفد كبير من أهل
درعة أيضا، فيهم الأقارب والأصهار والأتباع المريدون.
ويبرز بين هؤلاء المرافقين قريبه جعفر بن موسى،
(93) وأصهاره أبو العباس الهشتوكي (94) أحزي،
وأحمد البرنسي الشفشاوني، (95) وحسين الشرحبيل
البوسعيدي. (96) ←

82 – راجع " الدرر المرصعة " : 233 / وكانت وفاه عام
1143.

83 – " الدرر المرصعة " : 26.

- 84 – "الدرر المرصعة" : 146، و"الدرّة الجليّة"
:77.
- 85 – "الدرر المرصعة" : 24، وقد أحال على من توفّي
من الحجاج في هذا الوباء / راجع الدرّة الجليّة : 73.
- 86 – "الدرر المرصعة" : 66.
- 87 – راجع "الدرر المرصعة" : 24، 35 / 39 147.
- 88 – منها مخ خ ع : ق 190 بخط المؤلف.
- 89 – "الدرر المرصعة" : 449.
- 90 – راجع "الرحلة الناصرية" : 55/1، و"الدرر
المرصعة" : 38/ له ترجمة في "الرحلة الناصرية" :
55/1، 58 وفي غير موضع، "الروض الزاهر" : 70 ب،
"الدرّة الجليّة" : 121، "الدرر المرصعة" : 38، 457،
"كناشة الهرزوم التطواني" : 400 / مخ خ ع : د 3931.
- 91 – راجع "الدرر المرصعة" : 167.
- 92 – راجع "الدرر المرصعة" : 66.
- 93 – توفّي عام 1157، وكان قد تولى مشيخة
:الزاوية الناصرية" بعد والده الشيخ موسى / راجع

"الدرر المرصعة" : 490 نقلا عن "الرحلة الناصرية" /
وراجع ترجمته في "طلعة المشتري" : 128/2.
94 - راجع "الرحلة الناصرية" : 154، 168/2.
95 - راجع "الرحلة الناصرية" : 58/1.
96 - راجع "الرحلة الناصرية" : 154/2.
ويسجل أحمد بن ناصر وقائع هذه الرحلة في نص
رحلته الكبيرة المشهورة تحت اسم "الرحلة
الناصرية". (97)

وتجددت هذه الرحلات الحجازية الوفدية مع الشيخ
يوسف بن ناصر، (98) إذ رحل وفي صحبته جماعة من
أقربائه وأصحابه، ومنهم محمد المكي بن ناصر صاحب
"الدرر المرصعة". (99)

4 - ممارسة العملية التأليفية عند رجال الزاوية،
واتساع نشاطها عند مختلف الشيوخ من أبناء بني
ناصر، وغيرهم من أقاربهم وأصهارهم والوافدين عليهم
:

وهي عملية طبيعية تأتي لتثبت الحركة العملية التي
أحدثتها مجالس شيوخ الزاوية الناصرية، ولتؤكد

مصداقية الدرس العلمي فيها، ونشاط شيوخها في الإنتاج العلمي والأدبي فيها، فتنج ذلك أعمال هذه الزاوية تراثا فكريا وأدبيا، ومتميزا، يضاف إلى بقية الإنتاج التأليفي الذي عرفه مغرب المولى إسماعيل، ليكون ذلك حافزا من حوافر ازدهار حركة الأبد، ونتيجة من نتائج المستجدات التعليمية التي عرفتها هذه البيئة في باديتها وحاضرتها.

والملاحظ أن الإنتاج الأدبي يأخذ حيزا وافرا في هذه الأعمال التأليفية التي ارتبطت بالزاوية الناصرية، وعند أكثر شيوخها، بحيث يكاد يكون الثابت الثقا في الذي يتكرر وجوده في أعمال رجال الزاوية الناصرية، فما من مؤلف إلا وانصرف جزء من تأليفه إلى الأدب. ويمكن أن نقسم الأعمال التأليفية التي أنتجتها الزاوية الناصرية إلى قسمين:

القسم الأول :

وتمثله أعمال التأليف التي أنتجها أبناء بني ناصر، وهي أعمال تختص بمختلف الميادين العلمية والأدبية، ويبرز بينها الجانب الأدبي بشكل مثير، مما يجعل

نشاط الزاوية - زيادة على الموقف الصوفي والتعليمي -
علامة متميزة بين الأنشطة الأدبية في هذا العصر،
فتمثلها نصوص الرحلات، والشروح الأدبية، أعمال
الشعر وانثر المختلفة.

ويبدأ العمل التأليفي هذا مع إنتاج كل من :

أ - الشيخ محمد بن ناصر (ت : 1085) مؤسس

الزاوية الفعلي، وقد جمع في نشاطه الفعلي بين عمليتي
التدريس والتأليف، فخلف أعمالا عديدة، ولا سيما في
مجال الأدب والنظم، أشهرها :

- "رسائله" إلى معاصريه :

وقد جمع منها حفيده محمد المكي جملة كبيرة، ورتبها،
وصنع منها تأليفا سماه : "إتحاف المعاصر في رسائل
الشيخ ابن ناصر". (100)

- "الأجوبة الناصرية" : وهي الأجوبة التي صدرت

منه في مختلف المواضيع، قام بجمعها تلميذه محمد بن
أبي القاسم الصنهاجي. (101)

- "غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي
الحبيب" : وهو أهم كتبه وأوعاها، والكتاب في الصلاة

على الرسول صلى الله عليه وسلم، (102) وقد رتب
الصلوات فيه على حروف المعجم، وجعل في كل حرف
خمسا وثلاثين فقرة. ←

97 - طبعت على الحجر بفاس في جزئين مكون من
448 صفحة.

98 - توفي الشيخ يوسف الناصري عام 1197، وكان
قد تولى مشيخة "الزاوية الناصرية" بعد قريبه
الشيخ جعفر بن موسى /تنظر ترجمته في "طلعة
المشاري" : 2/130 نقلا عن "الروضة المقصودة" و"ثمره
أنسي" للحوات.

99 - راجع "الدره الجليله" : 102 وترجمة محمد
المكي في "الدره الجليله" : 101.

100 - منه عدة نسخ مخطوطة / منها مخ خ ح : 591،
ومخ خ الجامع الكبير بوزان رقم 501 ضمن مجموع،
وهي النسخة المعتمده في هذا البحث.

101 - توفى الصنهاجي عام 1103 / ترجمته في
"طبقات الحضيكي 79/2، وقد طبعت "الأجوبة
الناصرى" على الحجر بفاس.

102 - راجع عن "غنيمة العبد المنيب" : "الدرر
المرصعة" : 352، "مؤلفات مغربية" للمنوني : 23 /
دعوه الحق / عدد : 4 / سنة 18.

وقد تعاقب على شرح "الغنيمة" كثير من تلامذة الشيخ
ابن ناصر. (103)

- "مساعدَةُ الإخوان" : وهي منظومة في
العبادات. (104)

"وسيلة العبد المذنب الضعيف إلى مولاه العفو
اللطيف" : وهي منظومة في التوسل بالأشياء، وقد
اشتهرت شروحاتها المتعددة. (105)

"سيف النصر على كل ذي بغي ومكر". (106)
"مناسك الحج". (107)

"أشعار وأنظام كثيرة متفرقة". (108)

ب - الحسين بن محمد (109) بن ناصر (ت : 1091).
وهو أخو الشيخ المتقدم الذكر.

وله من المؤلفات :

"فهرسة" يعرض فيها شيوخه ومقروءاته، وظروف
نشأته وتعلمه. (110)
"تقايد مختلفة".

ج - الشيخ أحمد بن ناصر (ت: 1129).

وهو أشهر الشخصيات في هذه الزاوية بعد والده وله
نشاط واسع في التدريس والتأليف.
من أعماله :

"رحلة حجازية" كتبها عن حجته عام 1096. (111)
"رحلة حجازية ثانية" كتبها عن حجته عام 1109.
(111 مكرر)

"رحلة حجازية ثالثة" كتبها عن حجته عام 1021،
وتشتهر تحت اسم "الرحلة الناصرية". (112)
"رسائل متعددة وصايا وإجازات". (113)
"جزء في التعريف بوالدته". (114)

د - عبد الله بن محمد بن ناصر (115) (ت: 1091).

وهو أخو الشيخ المتقدم الذكر، الذي يليه، اشتهر
بمشاركته في مختلف المجالات العلمية، له :
"تقايد فقهية وحديثية وغيرها"، ولو جمعت لكانت في
مجلد، وكان ينوي قريبه محمد المكي أن يفردها
بتأليف مستقل. (116) ⇐

-
- 103 - من أكبرها شرح عبد السلام العدلوني (كان
حيا عام 152) منه مخ خ ع : ك 2204 - ج 332.
104 - راجع عن "مساعدَةُ الإخوان، وشرحها" :
"الدرر المرصعة" 352، "الرحلة الناصرية" : 18/1،
ومن "شرح" القاضي عبد الملك التجموعتي "نسخة" مخ
خ ع بتطوان رقم 353 ضمن مجموع.
105 - راجع نصها الكامل في "الدرر" : 388، وعليها
شروح متعددة، منها "شرح" الحسين بن شرحبيل
البوسعيدي / مخ خ داود بتطوان رقم : 43.
106 - راجع عن "سيف النصر وشرحه" في "الدرر
المرصعة" : 354.

107 - طبعت على الحجر بفاس بآخر نص "الرحلة
الناصرية".

108 - راجع "أشعار الشيخ وأنظامه" في "الدرر
المرصعة" : 388.

109 - تنظر ترجمته في : الدرر المرصعة 151،
"فهارس علماء المغرب" : 734/3 والمراجع المذكورة
بالحامش.

110 - منها عدة نسخ مخطوطة / مخ خ ع بتطوان رقم
10 / 343، ومخ خ ع : ج 506، والاعتماد هنا على
نسخة مرقونة نقلا من المخطوطتين المذكورتين أعلاه.
111 - 111 مكرر - راجع عنهما "الدرر المرصعة"
: 66.

112 - طبعت على الحجر بفاس في جزئين يشغلان
448 صفحة.

113 - ما تزال أكثر رسائله ووصاياه وإجازاته
متفرقة في "الدرر المرصعة"، و"نزهة الناظر" للتستاوتي،
و"طلعة المشتري" وبعض المجاميع الخاصة بالرسائل /
راجع "المصادر" للمنوني : 193/1.

114 - راجع "الدرر المرصعة" : 301، وقد نقل منه.

115 - تنظر ترجمته في "الدرر المرصعة" : 230،

و"طلعة المشتري" : 7/2، "الروض الزهر" : 54ب.

116 - راجع "الدرر المرصعة" : 233.

"أشعار وأنثار متفرقة" :

هـ - علي بن محمد (117) بن ناصر (ت : 1109).

من المشتهرين باللغة والأدب، له من الأعمال :

"شرح وسيلة والده" (118).

"أشعار وأنثار" أورد منها العديد في "الدرر" (119).

و - عبد الله بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد بن

ناصر (120) (ت : 1143)

وهو ممن اشتهر باللغة والقراءات، له :

"تقايد كثيرة في الفقه والحديث واللغة والنحو"،

"حتى إنها لو جمعت لكانت في مجلدات" (121).

ز - أحمد بن موسى بن ناصر (122) (ت : 1156)

وقد اشتهر بالأدب وقول الشعر، فهو شاعر الزاوية من

أبنائها دون منازع، ولم يعرف عن عمل مؤلف غير

أشعاره وبعض أنثاره، له :

"أشعار كثيرة متفرقة" في المصادر والمراجع. (122)

ح - محمد المكي (123) بن ناصر.

وهو أشهر من ألف في "الزاوية الناصرية"، والتعريف

برجالها، ولم تراثها، له أدب وافر، شعرا ونثرا، من

أعماله التأليفية :

"إتحاف المعاصر في رسائل الشيخ ابن ناصر". (124)

"فتح الملك الناصر في مرويات بني ناصر". (125)

"الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة". (126)

"طليلة الدعة في تاريخ (127) درعة".

"الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية". (128)

"البرق الماطر في شرح النسيم (129) العاطر". ↵

117 - ترجمته في: "الدرر المرصعة" 302، "الروض

الزاهر" :49ب "الدرة الجليلة" :63ب، "طلعة

المشتري" :4/2.

118 - راجع "الدرر المرصعة" :22.

119 - راجع "الدرر المرصعة" :303، وراجع أيضا

: "الروض الزاهر" :50 أ وما بعدها.

120 - ترجمته في "الدرر المرصعة" : 233، "الروض الزاهر" : 1101، "طلعة المشتري" 141/2.

121 - راجع "الدرر المرصعة" : 234، وتوجد بعض مؤلفاته في القراءات ضمن مجموع مخطوط، "بخزانة تامكروت الناصرية" رقم 1530.

122 - له ترجمته وشعر في الدرر المرصعة " 62، 76، "الرياحين الوردية" : 47، "البرق الماطر" : 154، "فتح الملك الناصر" : 72، "الدرة الجليلة" : 96 وشعر في "الدرر المرصعة" 62، 76، "الرياحين الوردية" : 47، "البرق الماطر" : 154، "فتح الملك الناصر" : 72، "الدرة الجليلة" : 96، "طلعة المشتري" : 109/2، 148، وكانت وفاته ومدفنه بالزاوية الناصرية بمدينة شفشاون عند أخواله.

123 - كان حيا سنة 1184 / ترجمته في: "الرياحين الوردية" : كلها (مخ خ ع : د 1864)، "فتح الملك الناصر" : الباب الثالث (مخ خ ع : ك 323)، "فهرسة أبي القاسم العميري" : 74، "كناشة المعطي مريينو" (مخ / الأستاذ المنوني)، "كناشة عبد الله بن

الطيب جسوس " : 26، 19 (مخ خ ع : ك 1044)،
"الروض الزاهر" : في غير موضع، "الدرر المرصعة" : في
غير موضع، "الدرة الجليلة" : 101، "طلعة المشتري"
149/2، "فهرسة الفهارس" : 192/2، "الإتحاف لابن
زيدان : 545/5، "مؤرخو الشرفا" : 224، "الإعلام"
للمراكشي : 65/6، "الحياة الأدبية" للأخضر : 265
والمراجع المذكورة، "فهارس علماء المغرب" : 426/2
والمراجع المذكورة.

124 - منه مخ خ ح رقم 5491، ومخ خ الجامع الكبير
بوزان رقم 501.

125 - منه مخ خ ع : ك 323 / راجع تحليلا مفصلا
له في : "فهارس علماء المغرب" : 426/2.

126 - كان تحقيقه محور رسالة جامعية بكلية
الآداب بالرباط / شعبة التاريخ / سنة 1988.

127 - منه مخ خ ع د 3785 و د 3786 / راجع
"المصادر" لتونني : 162/1.

128 - منه عدة نسخ مخطوطة، منها مخ خ ع : ج 88
- و د : 1864 من مجموع من (5 - 147).

129 - منه، مخ خ ع : د 1864 ضمن مجموع من
(153 - 263).

"الروض الزاهر في التعريف بابن حسين وأتباعه
(130) الأكاير".

"أشعار كثيرة وتقاييد أدبية متفرقة". (131)

وقد ذكر أنه سيجمع كتابا في تلامذة محمد بن ناصر،
يسميه "بهجة المعاصر".

ولست أدري هل أنجزه أم لا. (132)

القسم الثاني :

وتمثله أعمال التأليف التي أنجزها شيوخ الزاوية
وطلبتها من غير أبناء بني ناصر، وهي أعمال كثيرة
تجري في نفس السياق الذي تمثله الزاوية، وأعمال
الرجال السابقين، فهي تأخذ بمعالجة كل الفنون

العلمية، وتختص بميزة الأدب بكتابة الرحلات والشروح الأدبية وإنتاج الشعر والنثر. ويتميز بين أعمال هذه التأليف ما يتجه على تمجيد دور الزاوية، ممثلاً في شيوخها، ومحاولة التعريف بمناقب رجالها، ولذلك وضع هؤلاء مجموعة من المؤلفات في مناقب الشيخ محمد بن ناصر، وأحمد بن ناصر وفي أصحابه وتلامذته. ونقتصر في هذا العرض على ذكر أشهر هؤلاء المؤلفين، في مقدمتهم :

أ - أبو إسحاق إبراهيم الدرعي السباعي. (133)

وهو شخصية اشتهرت بالتدريس بالزاوية، بعد رحلة مشرقية واسعة، من مؤلفاته :

"مجموع إجازاته". (134)

"فهرسته" المسماة "الشموس الشارقة في أسانيد المغاربة والمشاركة". (135)

"تقييد في مناقب الأشياخ الناصريين". (136)

ب - أبو العباس أحمد أحزي.

ولائحة تأليف طويلة، (17) شملت المنظومات والشروح
والأعمال المختلفة، من أشهرها :
"ديوان في الأمداح النبوية". (138)
"فهرسة" أسماها : "قرى العجلان في إجازة الأحبة
والإخوان". (139)
"إنارة البصائر بذكر مناقب القطب ابن ناصر، وحزب
الأئمة الهداة (140) الأكابر".
"رحلة حجازية" عن حجته عام 1096 أسماها
"هداية الملك العلام" ... (141) ⇐

130 - منه عدة نسخ، أهمها مخ خ ح : ز11861

ضمن مجموع، وهي النسخة المعتمدة هنا.

131 - تنتشر أشعاره في كتبه المذكورة أعلاه، وفي

"الدرة الجليلة" : 101 وما بعدها، و"طلعة المشتري"

: 148/2، ومجموع مخ خ ع : د1864 حيث ضم أشعاره

وبعض مؤلفاته.

132 - راجع "الدرر المرصعة" : 342.

133 - توفي عام 1138 / تنظر ترجمته في " الدرر

المرصعة " : 131، "فهارس علماء المغرب" : 747/3

والمراجع المذكورة بالهامش.

134 - ترد أكثر إجازاته بخطوط أصحابها في مخ خ ع

" ق 280.

135 - يرد نصها الكامل ضمن مواد : "فتح الملك

الناصر" : 24 / مخ خ ع : ك 323 / راجع عن هذه

الفهرسة وموادها : "فهارس علماء المغرب" : 431/2.

136 - راجع " الدرر المرصعة " : 227.

137 - راجع "الإحالة" على مظان ترجمته عند

هامش رقم : 61 / راجع لائحة مؤلفاته في : " الدرر

المرصعة " : 34 و"سوس العالمة" : 190.

138 - أورد ذكره في فهرسته : "قرى العجلان" : 6 /

نسخة مرقونة / نقلا عن المخطوطة الواردة ضمن

كناشة الحضيكي / مخ خ ح : 13003.

139 - منها نسخة مخطوطة ضمن "كناشة الحضيكي"

/ مخ خ ح ك 13003 / راجع عن هذه الفهرسة :

"فهارس علماء المغرب" : 454/2.

140 - راجع "الدرر المرصعة" : 337، وقد نقل منها /

ومنه نسخة مبتورة الأول بآخر "كناشة الحضيكي".

141 - منها مخ خ ع : ق 190 بخط المؤلف.

"رحلة حجازية ثانية" عن حجته عام 1119. (142)

"أشعار كثيرة متفرقة". (143)

ج - الحسين بن محمد بن شرحبيل البوسعيدي (114)

(ت : 1142).

وقد كتب العديد من المؤلفات، وفي مختلف العلوم

والفنون، من أشهرها :

"إنارة البصائر في ترجمة الشيخ ابن ناصر". وهو في

مناقب أحمد بن ناصر. (145)

"رسائل". (146)

"شرح سيف النصر" للشيخ محمد بن نصر. (147)

"شرح وسيلة العبد المذنب" للشيخ محمد بن ناصر.

"شرح غنيمة العبد المنيب" للشيخ محمد بن

ناصر. (147)

5 - ممارسة العمل الأدبي وتهيئ الأجراء الملائمة

لإنتاج نصوصه.

وهي ممارسة تعكسها بالدرجة الأولى كثرة الأعمال الأدبية التي أنتجها رجال الزاوية الناصرية، من شيوخها، والوافدين عليها.

وقد اشتهرت "الزاوية الناصرية" بما يدور في حلقاتها من أدب، وما يرفع إلى شيوخها من أعمال تأليفية أو إبداعية، وما يتوجه به من مدح أو رثاء على شيوخها، فكان الوافدون على الزاوية من العلماء والأدباء يحرصون على صنع أعمال أدبية في المدح أو غيره، كما فعل الشيخ الحسن اليوسي في قصيدته الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر، (148) وكما فعل الشيخ عبد الملك التجموعي في قصيدته التي هنا فيها الشيخ محمد ابن ناصر بعودته من رحلته الحجبية، (149) وكما فعل الشيخ ادريس المنجرة حين قدومه على الشيخ احمد بن ناصر (150) بدرعة.

وقد تكون من هذه الأعمال، ومما أنتجه أبناء الزاوية من شعر، ونثر، وتأليف، تراثا أدبيا وافرا، يجعل من الزاوية بهذه الصفة مركزا مهما للإشعاع الأدبي وحركته في هذا العصر.

وبذلك تشتهر أصناف من هذه الأعمال الأدبية، لتكون
فعلامات مميزة، تدل على نضج العملية الأدبية
وتطورها وتوجهاتها المختلفة.
من هذه الأعمال :

أولا : نصوص التأليف الأدبية المتمثلة لوقائع
الرحلات التي أنجزها كل من أحمد بن ناصر، وأحمد
أحزي، ومحمد المكي بن ناصر.(151) ⇐

-
- 142 - منها مخ خ ع : ق 147.
- 143 - يرد منها الكثير في "الرحلة الناصرية" و"الدرر
المرصعة" و"طلعة المشتري" وغيرها.
- 14 - ترجمته في "الدرر المرصعة" : 167، الدرّة
الجليلة" : 110، "نشر المثاني" : 333/3، "التقاط
الدرر" : 354/ "طلعة المشتري" : 10/2، "خلال جزولة"
"65/3، "المعسول" : 240/18.
- 145 - منه مخ : ح دار الكتب الناصرية بتامكروت
ضمن مجموع رقم 3070.

146 - منه مخ : خ. دار الكتب الناصرية بتامكروت
رقم 2717 ضمن مجموع.

147 - راجع "الدرر المرصعة" حيث سمي بعض تأليفه
/ من شروحه "لسيف النصر" "نسخة مخطوطة"
بالخزانة الداودية بتطوان رقم 43 ضمن مجموع.
148 - تقدم ذكرها والحديث عنها، وقد طبع بمصر
غير ما مرة شرحها المسمى : "نيل الأمانى في شرح
التهانى".

149 - راجع نص القصيدة في : "الرحلة الناصرية"
: 18/1، "الدرر المرصعة" : 397 / توفى القاضي
التجموعتي 1118 / تنظر ترجمته في : "فهرسة" ابن
مبارك اللمطي : 10، "فهرسة" صالح بن محمد الحبيب
اللمطي : 310 ضمن "كناشة الحضيكي،" الروض
الزاهر" : 25 أ، "نشر المثاني" : 162/3، "التقاط
الدرر" : 195، "فهارس علماء المغرب" : 741/3
والمراجع المذكورة بالهامش.

150 - هيا ادريس المنجرة قصيدتين لهذا الغرض،
وقد اقتصر على ذكر مطلع كل من القصيدتين في

"فهرسته" / راجع "فهرسة" ادريس المنجرة 51 / مخ خ
ع : د1838.

151 - تقدم ذكر هذه الأعمال عند الحديث عن
النشاط التأليفي في الفقرة المتقدمة.

ثانيا : نصوص الأنظام والتوسلات والصلوات، وهي مما
أنتجه بالدرجة الأولى كل من الشيخ محمد بن ناصر،
وتلميذه أبي العباس أحزي.

ثالثا : نصوص الرسائل المختلفة في شتى المواضيع
والأغراض، وتشتهر منها ما كتبه الشيخان محمد بن
ناصر، وخليفته أحمد بن ناصر، وبعض تلامذتهما مثل
أحمد الهشتوكي أحزي، والحسين بن شرحبيل
البوسعيدي.(151)

رابعا : نصوص الأشعار التي رفعت إلى شيوخ الناصرية
في المدح والتهنئة، أو مما قيل في الرثاء، وهي نصوص
كثيرة تداول ذكرها وعرض موادها عدد وافر من
المصادر.

منها أشعار اليوسي، والتستاوتي، ومحمد الدقاق،
(1522) والصغير الإفرائي، (153) وأحمد بن موسى

ابن ناصر، ومحمد الحوات (154) الشفشاوني،
واشكلائطو الرباطي، (155) وغيرهم.
خامسا : نصوص الشروح الأدبية :
وهي تبدأ مع شرح اليوسي لقصيدهُ التهانِي التي رفعها
إلى الشيخ محمد بن ناصر، وتنتهي - حسب حيز
الفترة الزمنية الماثلة للدرس في هذا البحث - مع شرح
محمد المكي بن ناصر لقصيدهُ النسيم العاطر لأخيه
أحمد بن موسى في مدح الشيخ أحمد بن ناصر.
ويدخل ضمن هذه الشروح الأدبية مختلف الأوضاع
والتعليقات التي كتبت حول منظومات الشيخ محمد بن
ناصر، ومتونه، مثل شروحه "الغنيمة"، و"الوسيلة"
وغيرها.

151 - تقدم ذكر هذه الأعمال عند الحديث عن
النشاط التأليفي في الفقرة المتقدمة.

152 – محمد الدقاق نزيل المدينة المنورة (ت
:1158) ترجمته في "فهرسة الحايي": 10، "الدر
المرصعة": 85، "كناشة بناصر" (مخ خ ح 2745)،
"الاغتباط": 106، "الإتحاف" الوجيز: 113، "طلعة
المشتري": 108/2، "الإعلام" لمراكشي "60/6.
153 – توفى الأفراني بعد 1155 / ترجمته في "رحلة
الوافد": 307، "الرياحين الوردية": 118، "الدر
المرصعة": 94، "فهرسة العميري": 41 ب، "السعادة
الأبدية": 112/1، "الإعلام" للمراكشي: 50/6،
"معجم المطبوعات المغربية" "20"، "مؤرخو الشرفا"
:89، "الحياة الأدبية" للأخضر: 229، "فهارس علماء
المغرب": 479/3 والمراجع المذكورة: "المصادر" للمنونى
:159/1 وما بعدها، "دليل بنسودة": 153/1 وما
بعدها، "الزاوية الشرقاوية": 202، "مجلة المناهل":
206، 404 عدد: 36.

154 – توفى القاضي محمد الحوات العلمي سنة
1161 / ترجمته في: "فتح الملك بناصر": 70، 73،
"الروض الزاهر" "64 أ وما بعدها، "الدر المرصعة"

12، 80 وما بعدها، "نشر المثاني" : 59/4، "التقاط الدرر" : 407، "الدرّة الجليّة" : 95 وغيرها، "ثمره أنسي" : 2 وما بعدها، "الروضة المقصودة" : في غير موضع، "طلعة المشتري" : 120، 122/2، "السلوة" : 119/3، "مؤرخو الشرفا" : 242، "فهارس علماء المغرب" : 431/2 و 571/3، والمراجع المذكورة.

15 - محمد الهاشمي اشكلانط الرباطي (كان حيا سنة 1173) ترجمته في "تقييد في عائلة البيجريين" : 16، "الدرر المرصعة" : 490، "كناشة أحمد بن المعطي مريينو" (مخ : الأستاذ المنوني) ، "الإتحاف الوجيز" : 116، "طلعة المشتري" : 314/1، "الاغتباط" : 464، "مجالس الانبساط" : 116، "الإعلام" للمراكشي : 71/6، "معلمة" عبد العزيز بن عبد الله : 53/4، "فهرسة مخطوطات الخزانة الصبيحية" بسلا : 315.

أ - الزاوية الشرقاوية :

يرجع تأسيس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد إلى الشيخ أبي عبيد محمد الشرقي (156) (ت 1010) حينما يبرز بين شيوخ الزوايا في المغرب أواخر القرن العاشر. فكان له أتباع ومريدون يعتقدون فيه ويعتمدون عليه في السلوك والافتداء، كما كانت له مكاتبات ومراسلات مع شيوخ الصوفية في عصره، عبر فيها عن موافقة الصوفية نثرا وملحونا. إلا أن الزاوية الشرقاوية تفقد بريقها الصوفي بعد وفاة شيخها محمد الشرقي، فيلغها الغموض، ولا تتبين أدوارها في العلم أو في التصوف مع أبناء الشيخ الذين خلفوه في مشيخة الزاوية. ورغم أن العديد من أحفاد هذا الشيخ قد اتسموا بالعلم والصلاح، فإن حضور الزاوية الشرقاوية خلال القرن الحادي عشر، قد ظل باهتا إن لم يكن معدوما. وحتى في الذين اشتهروا بالعلم من أحفاده، إنما تم لهم ذلك خارج الزاوية وأبي الجعد، فكان الشيخ المفضل الشرقي في سلا، والشيخ

محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي في مراكش، وأكثر
الشخصيات الشرقاوية حضوراً في مجال العلم على
امتداد القرن الحادي عشر. (157)
وتعود المحاولة الجديدة الأولى لتجديد نشاط الزاوية
الشرقاوية إلى الشيخ محمد المعطي المذكور، حينما
طلب منه بعض عائلته النزول بالزاوية لتعميرها
وولاية شؤونها. فكان له ذلك قبل أن يعود إلى مراكش
من جديد، حيث كانت وفاته سنة 1092.

وميزة الشيخ محمد المعطي أنه يجمع بين العلم
والتصوف. فهو ممن لازم مجال الشيوخ في طلب العلم،
فجلس إلى حلقات الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي،
والشيخ عبد القادر الفاسي، وغيرهما. وتخرج على
يدهم عالماً مبرزاً في عصره. فألف ودرس، ولازم بعض
الشيوخ الطريقة والحقيقة - وبخاصة شيخه محمد
بن إبراهيم التاملي المراكشي - فاستنار دربه واستفاد
معرفة ←

156) راجع عن الشيخ الشرقي، وظروف تأسيس زاويته كتاب: الزاوية الشرقاوية: 40 والمراجع المذكورة.

157) راجع عن الشيخ المفضل: الإتحاف الوجيز: 98 توفي 1071- وتنظر ترجمة محمد المعطي في فهارس علماء المغرب 734/3 والمراجع المذكورة.

الطريق، فورث الأسرار وفاز بالرضى والقبول، وتهاياً بذلك ليكون شيخ الطريقة والحقيقة، فينتسب له المريدون ويسلك به السالكون.

وتبدأ الزاوية الشرقاوية الظهور في وضعها الجديد مع هذا الشيخ، فيكون أول من سخر العلم بجانب الطريقة في هذه الزاوية لتتم على يده البداية المثمرة للزاوية الشرقاوية علما وطريقة. إلا أن تعمير الزاوية الشرقاوية بالعلم والطريقة لم يزدهر إلا مع الشيخ محمد الصالح الشرقي حينما تولى مشيخة الزاوية بعد والده محمد المعطي. فأحى الطريقة الصوفية بها. وعمر مجالسها بالقراءة والعلم، وهياً لها الحضور

الواضح في عصره وبين الزاوايا الشهيرة آنذاك، لتصبح مقصد الشيوخ والطلاب من أهل العلم والانتساب والبركة.

ولا ننسى أن الشيخ الصالح الذي عمر الزاوية الشرقاوية من جديد، ووجهها هذه الوجهة العلمية - مما جعلها مصدر حركة نشيطة من العلم والأدب في منطقة أبي الجعد ونواحيها خلال القرن الثاني عشر- كان قد جلس إلى حلقات العلم أثناء مرحلة الطلب في مراكش وفاس، قبل أن يستقر بأبي الجعد. فأخذ عن محمد بن سعيد المرغيثي، (158) ورفيق والده أحمد بن إبراهيم العطار. (158) وعلى والده الشيخ المعطي بن عبد الخالق الشرقي، ومحمد بن عبد القادر القاسي، (158) وغيرهم، وقد كانت له صلة مع عالم عصره أبي الحسن اليوسي، فكان يستقي منه العلم والتوجيه السلوكي. (159)

وأكثر الشيوخ الذين استفاد منهم هم اليوسي والعطار المذكوران، إذ قرأ "عليهما علوما جليلة، واستفاد منهما فوائد حفيظة، قرأ عليها العلوم المتداولة بين الناس،

مثل الفقه والنحو واللغة والتصريف والعروض
والحساب والبيان والأصول والتوحيد والحديث والسير
وعلوم القرآن وغيرهما من العلوم الدقيقة، والحكم
والأسرار الدقيقة". (160)

وقد باشر الشيخ الصالح الشرقي التدريس بنفسه في
حلقة تلامذة زاويته، على عادة ما يجري في بقية
الزوايا الشهيرة آنذاك في المغرب. فكان يملأ وقته
بالعلم والتدريس، فلا تراه "إلا والكتب بين يديه،
وطلبة العلم دائرون به، ويحلقون عليه، وهو في مجلس
التدريس والإقراء والتذكير والتحذير والوعظ
والإغراء"، (161) ولا يريد أن يشغله شيء عن العلم
ومجالسة أهله، حتى مسائله الخاصة وأحواله، كما في
قوله: "إني لا أحب أن أخرج شيئاً من مسائلي من
مجلس العلم، وأحب أن تكون كلها داخلة في العلم،
وملتبسة به، بحيث لا يشغلني شيء عن العلم". (162)
وقد جعل من التدريس واجهة حياته الواضحة.
واتخذ منه العنصر الذي يرسى به ظروف هذه الحياة،
ويحقق به أمنيته، فأصبح قيامه بالزاوية بعد،

واستمراريته بها، يأتي تبعا لوظيفة الاشتغال بالعلم
أولا، وخدمة حلقاته ثانيا، وهكذا يذكر عن نفسه في
هذا الصدد، قوله:

" ولولا تدريس العلم للطلبة، واشتغالي معهم بمذكراته
لخرقت من غلبة الأحوال ثيابي، ومزقت جلبابي،
وشئت أصحابي، وهجرت أحبابي، وفررت من العماره،
وكسرت الأواني، وضربت بالحجارة". (163)

158) راجع عن شيوخه: مختصر

اليتيمة: 36، 37، 40 - وكناشة الصالح الشرقي

الأولى: 39 صخ خ ح ح: 15، 34 حيث ترد إجازة

الفاسي له. تنظر ترجمة محمد بن سعيد المرغيثي في

فهارس علماء المغرب 730/3 والمرجع المذكورة

بالحامش.

159) مختصر اليتيمة: 40 - وفهرسة العميري 98أ -

ورسائل اليوسي 436/2.

160) مختصر اليتيمة : 40- الفتح الوهبي : 164
مصورة خاصة.

161) مختصر اليتيمة : 11

162) مختصر اليتيمة : 12

163) مختصر اليتيمة : 12

وكان - وهو يمارس التعليم في حلقاته - يتبع أسلوبا
معينا في التدريس، فهو يخلط درسه بعناصر الترفيه
بما يذهب به الملل على طلبته، ويجدد لهم الرغبة في
المتابعة. فكان "إذا رأى طلبة العلم الذين يقرأون عليه
ملوا من القراءة، يباشرهم بحسن الخلق، ويداعبهم،
ويمازحهم بكلام حسن... ويحكي لهم الحكايات
الغريبة، والمضحكات العجيبة. ويقول لهم رضي الله
عنه : هذا كله من أنواع العلم. ويسميه العلماء
الإحماض، يميلون إليه عند... كلهم من الدرس
يسترحون فيه". (164)

وكانت طريقته في التعليم، وتقريره للقضايا والمسائل،
تقوم على الحك اللفظي للنص، وهي طريقة شهيرة في

التعليم على عهده. وكان يتبعها كثير من شيوخ العلم،
(165) ويصور بعضهم طريقة شيخه الصالح الشرقي
في التعليم، فيذكر أنه كان "من كثرة محافظته على
تحقيق العلم، لا يقرئنا إلا بالكتاب بين يديه، ويعبر
لنا بعبارة مألوفة، ويقول: هذا الكتاب الفلاني، وهذه
عبارته. ولا يريدنا شيئاً على تقريره، إلا إذا عجز
أحد منا عن فهم تلك العبارة. ويحلها له بلسانه،
ويوضحها له على قدر وسعه. ويقول لنا: كثرة التعبير
باللسان، تمشدق في العلم". (166)
وقد أكد على أهمية هذه الطريقة التعليمية وفائدتها،
فيما نقله عنه تلميذه عبد الكريم العبدوني في
اليتيمة، وقد حاوره فيما حصله من فائدة عند حضوره
درس الألفية على الأستاذ أحمد بن حم بالزاوية
الشرقاوية، فقال له: "قرر لي ما سمعت منه، وكيف
قرر لكم؟. فقلت: يا سيدي، لم أعقل شيئاً من عبارته.
فقال لي: يا ولدي: الفقيه إذا كان يزوق عبارته، يكون
الانتفاع بعلمه قليلاً. وإذا كانت عبارته بحذاقة
اللسان، فغايتها سماع الآذان. ومن لم يزوق عبارته،

يكون الانتفاع بعلمه، وتخرج عبارته من داخل القلب،
فيعيها القلب". (167)

وقد تخرج على يد الصالح الشرقي، ومن حلقته
التعليمية، عديد من التلامذة، ممن كان لهم شأن كبير
في تصعيد حركة العلم والأدب بهذه المنطقة على
امتداد القرن الثاني عشر في مقدمتهم:
ولده محمد المعطي صاحب كتاب الذخيرة، الأديب
الشاعر. (168)

وعبد الخالق الشرقي، قريبه، ومؤلف كتاب
المركبي. (169)
والأديب المؤرخ أبو العباس أحمد بن فتوح التازي،
مؤلف كتاب التعريف المفيد، وغيره. (170)

164) مختصر اليتيمة: 31 / ويظهر أثر الشيخ
اليوسي في ذلك واضحا / راجع فهرسة اليوسي: 3.
165) راجع حول هذا الموضوع: فهارس علماء المغرب
538/3 وما بعدها.

166) مختصر اليتيمة: 32.

167) مختصر اليتيمة: 97.

168) توفى الشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي

عام 1180 / ترجمته في: يتيمة العقود الوسطى

للعبدوني حيث اختصت بمناقبه ومناقب والده الشيخ

الصالح - ومختصر اليتيمة، وقد قدم بمناقب والده

على عكس الأصل - فهرسة العميري: 97ب- النشر

174/4. الحياة الأدبية للأخضر: 288 والمراجع

المذكورة - الزاوية الشرقاوية 108 والمراجع المذكورة.

169) كان حيا عام 1139 حيث رثى شيخه الصالح

الشرقي / ولا تعرف له ترجمة مفصلة / وتنتشر

أخباره وأشعاره في: كتابه المرقى: في غير موضع -

الدرة الجليلة للخليفتي: 201 - المصادر للمنوني

214/1 - دليل بنسودة 220/1 - الزاوية

الشرقاوية: 196.

170) ترجمته في: مختصر اليتيمة: 62 / ويرد

ذكره أيضا في غير موضع منها في 106، 92، 87، 59 -

وتردد منظوماته وأشعاره في: المرقى: 110، 89 -

والفتح الوهبي: 82،86،88 وغيرها - وتاريخ
الضعيف الرباطي: 51 حيث انفرد بالنقل من كتابه:
التعريف المفيد... - ودليل بنسودة 1/199 - والزاوية
الشرقاوية: 199.

والشاعر محمد العربي الإسحاقى (كان حيا 1180).
حيث رثى المعطى بقصيدة شعرية. (171)
والمؤرخ محمد بن عبد الكريم العبدوني (172) صاحب
كتاب اليتيمة، وغيرهم كثير.

وكانت الزاوية الشرقاوية مقصد كبار علماء المغرب
المغرب آنذاك. فيقيمون بها حلقات دروسهم كما لو انهم
كانوا في فاس أو مكناس وغيرها.

وتتحدث المصادر التي عرفت بالزاوية الشرقاوية
ونشاطها العلمي، عن العديد من الأسماء العلمية
الشهيرة التي ساهمت في هذا المجال، في مقدمتها:
أبو علي بن رحال المعداني (173) فقيه المغرب على
عهده، وشارح مختصر خليل. فقد وفد على الزاوية
زائرا للشيخ محمد الصالح، فسمع بخبره طلبه

الناحية، "فاجتمع عليه خلق كثير من طلبة العلم،
من أهل الصومعة، وفشتالة، ونواحي تادلة من
السهل والجبل". (174)

عبد الوهاب ابن الشيخ المكناسي، (175) الخطيب
القاضي المدرس. قصد زاوية أبي الجعد الشرقاوية،
وأقام بها في كنف الشيخ الصالح مدة من
الزمن. (175)

محمد الصغير الإفرائي، (176) فقد ورد أنه آوى
إلى الصالح الشرقي في محنته، فأقام فترة بأبي
الجعد. ولا يبعد أن يكون قد تعاطى التدريس
أثناءها، لاسيما وهو يتحدث في خاتمة كتابه:
"نزهة الحادي" عن دور الصالح الشرقي في تهدئة
موقفه وتسكين روعة. وذلك بما هيا له هذا الأخير
من ظروف الاستقرار، والتخلص من توابع المحنة،
وقلقها. (177)

وبفضل الصالح الشرقي أتم تأليف كتاب "نزهة
الحادي". (177) وقد ظل وفيا للصالح الشرقي، وزاوية
أبي الجعد. إذ بقي يرأسل شيخها، وبقيت رعاية الشيخ

من أجل إتمام عملية تأليفه الأخرى... وذلك من خلال
ما ورد في بعض رسائله إلى الشيخ الصالح. (178)

171) لا أعرف له ترجمة، غير أن له أشعارا جيدة
وأخبار ترد في: مختصر اليتيمة: 110، 177، 254.
وقد كان حيا عام 1180 حيث رثى الشيخ المعطي
بشعر - وفي الدرّة الجليّة ترجمة من اسمه محمد بن
محمد الإسحاقى: 192 / كان من تلامذة ابن ناصر.
وكانت وفاته في العشرة التاسعة من القرن الثاني
عشر.

172) أخباره متناثرة في كتابه يتيمة العقود الوسطى
- وترجمته حافلة في مقدمة مختصر اليتيمة: 1 وما
بعدها - وله ترجمة في: دليل بنسودة 242/1 -
والمصادر للمنونى 255/1 - والزاوية الشرقاوية:
224.

173) توفي 1140 / ترجمته في: النشر 294/3 -
التقاط الدرر 338 - مؤرخو الشرفا: 212 وقد خلط

بينه وبين الهداجي المعداني - الحياة الأدبية للأخضر
205 والمراجع المذكورة.

174) مختصر اليتيمة: 44 - والفتح الوهبي 164.
175) توفى بعد 1150 / مختصر اليتيمة: 68 -
تنظر ترجمته في: تقييد في عائلة البيجريين لمحمد
البيجري: 21،9 نسخة مرقونة نقلا عن مخ الأستاذ
المنوني - فهرسة التاودي بنسودة: 42 - الروضة
المقصودة: 479- الأتحاف لابن زيدان 397/5.

176) توفى بعد 1155 / ترجمته في: رحلة الوافد:
307 - الرياحين الوردية: 118 مخ خ ع: د 1864 -
الدرر المرصعة 94- فهرسة العميري 41 ب- السعادة
الأدبية 112/1- الإعلام للمراكشي 50/6 - معجم
المطبوعات المغربية: 20 - مؤرخو الشرفاء: 89-
الحياة الأدبية للأخضر 229 والمراجع المذكورة -
فهارس علماء المغرب 479/3 والمراجع المذكورة -
المصادر للمنوني 1/160، 159، 164، 170 الزاوية
الشرقاوية: 202 - دليل بنسودة 1/153، 169،
242، 259، 440/2، 478 - مجلة المناهل: 206

للأستاذ مزين / عدد 36 - مجلة المناهل: 404

للأستاذ جلاب / عدد 36.

(177) نزهة الحادي: 310 - وراجع مؤرخو الشرفا:

212 - والزاوية الشرقاوية: 203.

(178) الزاوية الشرقاوية: 205 - وقد أشار إلى نص

الرسالة: المراكشي في الإعلام 58/6 - ومؤرخو الشرفا

93 وفيها يخبره أنه أكمل تأليف كتاب الصفوة. وإن

أراده فليبعث من يقوم بنسخه.

عبد القادر بن شقرون المكناسي (179) الطبيب

المشهور، وقد وفد على الشيخ الصالح الشرقي بعد أن

أصابه خمول وإملاق في بلده مكناسة. فطلب منه

الصالح أن يمكث عندهم، يدرس النحو والتصريف

والطب. " فمكثت عنده تلك المدة المباركة التي لا

يأتي بها زمان، ولا يعادلها وقت ولا أوان". (180)

وفي رحاب زاوية أبي الجعد، وحلقة درسه بها،

وبطلب من شيخه الصالح، ألف كتابه في شرح

تصريف المكودي، وسماه: سلك الصريف الجامع درر

البسط والتعريف، (181) كما أن أكثر كتبه الطبية

واشهرها - وهي الشقرونية - قد كتبها استجابة
لرغبة الشيخ الصالح الشرقي. وباستدعاء
منه. (182)

-محمد بن قاسم بن زاكور العالم الشاعر. وترد في
شأنه الإشارات الكثيرة بإقامته مدة بالزاوية
الشرقاوية، يمارس التدريس. ففي ديوانه "الروض
الأريض" مجموعة من المراجعات الشعرية، مما
تبادلته مع الشيخ الصالح الشرقي، ويستفاد منها
إقامة ابن زاكور بالزاوية الشرقاوية، ومرافقته
للشيخ الصالح في تحركاته المختلفة لزيارة الأولياء
والصالحين.

فمن هذه المراجعات ما قدمها بقوله: (183) وقال
يخاطب الأديب الحسيب السيد الفاضل صالح ابن
المولى المعطي أحد الأعيان، من أولاد القطب سيدي
محمد الشرقي نفع الله به، جوابا على بيتين طلب منه
فيهما أن يقرئه لامية الإمام الزقاق، وهما:
يامن رقى رتب الألى السباق وعلا على النبلاء والحدائق

عجل بتعليمي الذي أملتة من نظم مولانا الرضى

الزقاق

فجاوبه بن زاكور بشعر على ذلك.

ويرد في نفس الديوان أمداح في شيخ الزاوية الكبير محمد الشرقي، (184) وأشعار يصرح في تقديمها أنه قالها وهو برفقة الشيخ الصالح في زيارة أبي يعزى، وغيره من الصالحاء.

بل إن الشيخ الصالح كان لا يتحرك للسفر، إلا وقد حرك معه مجموعة من العلماء لمرافقته، ويذكر في مختصر اليتيمة في بعض سفراته إلى وزان، أنه كان يرافقه، 3 من العلماء: الأديب محمد بن قاسم بن زاكور، والأديب الطبيب عبد القادر بن شقرون، (185) وفي بعض كناشات الشيخ الصالح (186) ما يفيد أن أحد أولاد اليوسي، (187) وهو الشيخ الأديب ابو عبد الله محمد بن الحسن اليوسي، كان مقيما بجوار الشيخ الصالح، لأنه كان الفقيه الذي ترفع إليه الفتاوى والنوازل بالمنطقة، وإذا كانت الأجوبة قد احتفظت بها

هذه الكناشة، فإن أكثر الأسئلة كان صادرا من الشيخ
الصالح.

179) توفى عام 1143 / ترجمته في: الأنيس
المطرب: 193 - منحة الجبار للبصري 290 مخ خ ح؛
ز 941 - كناشة العياشي التستاوتي: 75 مخ خ ح؛
1928 - فهرسة العميري 96 ب مخ خ ح: 905 -
مختصر اليتيمة 77 وما بعدها - الحياة الأدبية
للأخضر 207 والمراجع المذكورة - الإتحاف لابن
زيدان 320/5 - فهارس علماء المغرب 418/2 -
الزاوية الشرقاوية 205 - وترد أشعاره في الجامع؛
مجموع وزان رقم 371 - مجموع خ ع: د 158.

180) مختصر اليتيمة: 77

181) هكذا ورد اسمه في طالعته / منه مخ ح

الحمزاوية رقم 167 أول مجموع.

182) تصدر الأرجوزة مخطوطة ومطبوعة باستدعاء
الشيخ الصالح الشرقي / وهو استدعاء في 50 بيتا
تقريبا.

183) الروض الأريض لابن زاكور: 249.

184) راجع الروض الأريض: 260، 256، 253،
254.

185) مختصر اليتيمة: 127.

186) هي الكناشة الشرقاوية الثانية / مخ خ ع: ك

1108 تميزا عن الكناشة الأولى السابقة الذكر.

187) لم أتبين أي أولاد اليوسي المقصود هنا. إذ أن له

ولدين باسم محمد. توفى الأول سنة 1107 / بينما

توفى الثاني بعد 1119 / وهذا الأخير هو الذي قام

بجمع ديوان والده، وتحرير رحلته الحجازية. ولعله

هو المقصود في هذه الكناشة الشرقاوية الثانية. راجع

الكناشة الشرقاوية الثانية: 42.

وقد كان للصالح الشرقي فلسفة خاصة في ملء وقته

بمجالسة العلماء ومرافقتهم في الإقامة والسفر، فكان

يقول لرفقته من العلماء الذين يجلسون معه لمذاكرة

العلم، ويردون: " قد جعل الله لكم ولي جنة يتنزه بها
في وقته، وانا جنتي في العلم". (188)

ولذلك كان يحض أصحابه على مرافقة العلماء،
واصطحابهم، وخدمتهم للاستفادة منهم. فكان يردد
دائما: " عليكم بمرافقة العلماء وخدمتهم، فإنه ما أفلح
من افلح إلا بمرافقتهم، ولا نجح من نجح إلا
بخدمتهم". (189)

وكانت عادة الشيخ الصالح أنه كلما وفد عليه مرة عالم
أو طالب، يلتمس حاجة من رزق، أو حماية أو بركة، إلا
ويطلب منه أن يقيم مدة معينة، يقرئ فيها العلم
بالزاوية. فإذا رأى أن الطموح العلمي عند هذا الزائر
يفوق ما تتطلبه حلقة الزاوية، ومستوى طلبتها العلمي،
نصحه الصالح بالرحيل إلى حيث يلبي طموحه العلمي
كما هو الأمر في معاملته مع الشيخ الأديب محمد
الطيب الفلالي. (190)

وقد كان بالزاوية - زيادة على هؤلاء الطارئین -
مجموعة أخرى من العلماء من أهل الناحية، أو ممن
استقر المقام بهم بشكل نهائي في رحاب الزاوية،

يزاولون التدريس، ويتعاطلون العلم والتأليف وقرض
الشعر، منهم:

- الأستاذ أحمد بن حم، وكان يقوم بتدريس النحو
بالخلاصة. (191)

- والأستاذ الأديب أبو العباس أحمد بن فتوح التازي،
وقد استقر أخيرا بأبي الجعد، (192) بجوار الشيخ
الصالح. "وقدمت عليه، فبقيت عنده، ولم يسمح
بفراقني إلى أن توفيت".

- والفقير محمد الوردغي السالمي. "وكان كثير
الجلوس مع الشيخ، وكان كثيرا ما يتعاطى معه علم
التنجيم هو وجماعة من العلماء، منهم سيدي المهدي،
وسيدي الحسن بن البكري السيفي، وسيدي علي بن
منصور الشماخي". (193) وكان غير هؤلاء من العلماء
بالزاوية خلال عهد الصالح. وقد وردت أسماؤهم
عرضا في المصادر التي تحدثت عن الزاوية، ونشاط
رجالها الصوفي والعلمي.

ولأهمية موقع الزاوية العلمي، كان كثير من الطلبة،
وبخاصة طلبة النواحي، (194) يقصدون الشيخ

الصالح للجلوس إلى حلقاته. وتقديم بعض الكتب
هدايا للشيخ.

بالإضافة إلى هذا الجانب التعليمي الذي برز فيه
الشيخ الصالح، ووفود العلماء النازلين بالزاوية، وما
أحدث هذا من نشاط علمي في المنطقة، ومن حركة
دائبة في تعاطي العلم والمشاركة في واجهاته المختلفة،
وبخاصة الأدبية منها والتاريخية - فإن الزاوية قد
شهدت على امتداد عهد الصالح الشرقي (ت: 1139)
حركة أخرى، كان لها من التأثير العلمي والصوفي على
الزاوية الشيء الكبير، فقد تمثلت في الزيارات المتعددة
التي كان يقوم بها بعض رجال العلم والتصوف، ممن
كان لهم ذكرا واسع في عصرهم، وبرز واضح في بيئتهم
من هؤلاء.

- أحمد الحبيب السجلماسي الصديقي، (195) وهو
أحد الشيوخ المشاهير على عهده، حيث استرجعت
معه منطقة تافيلالت عزها العلمي، فأقام الدرس
فيها بعد خضوت، ونشر العلم بين ربوعها، واتسعت
الاستفادة

188) مختصر اليتيمة : 12
189) مختصر اليتيمة : 17
190) مختصر اليتيمة : 87 / ولا اعرف للرجل
ترجمة أو ذكرا غير ما ورد في اليتيمة من أخبار وأشعار
تخصه.

191) مختصر اليتيمة : 97 ولا ذكر للرجل في غير
هذا المصدر حسب علمي.

192) مختصر اليتيمة : 62

193) مختصر اليتيمة : 143.

194) راجع مختصر اليتيمة : 110، حيث قدم إليه
هدية ديوان ابن نباتة، وحاشية ياسين على السعيد.

195) توفي عام 1165 / تنظر ترجمته في: فهارس
علماء المغرب 754/3 والمراجع المذكورة.

منه، فأخذ عنه العلم والتصوف كثير من أبناء
تافيلالت، (196) وأبناء زاوية آيت عياش، (197)

وغيرهم. فكان مصدر إشعاع فكري وروحي في هذه المناطق. كما كانت له زيارات منتظمة إلى الزاوية الضرقاوية للتبرك بالشيخ الصالح. (198)

أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتي، (199) وهو شخصية شهيرة في بيئتها، جمعت بين الواجهتين الأدبية والصوفية، واعتبر أحد أقطاب الطريقة الناصرية. ويمثل هو واليوسي ثنائيا مميزا خلال هذه الفترة. كان له تلامذة وأتباع. وبالأخص في عدوتي سلا والرباط، حيث يوجد فرع زاويتهم المباركية، وكانت له زيارات متعددة إلى أبي الجعد، حيث يعتبر الشيخ الصالح من تلامذته. (200)

العايشي التستاوتي، (201) وهو في شهره أخيه المتقدم. وقد برز في العالم الصوفي والأدبي، مما جعله يتصدر في عصره، وينعت بالولاية. كانت له زيارات إلى زاوية الشرقاويين وإقامة بها. (202)

وفي كناشة العياشي هذا أشعار للصالح الشرقي يراجع فيها رفيقه الشاعر العياشي التستاوتي

(203) ويبادله بث الخواطر الصوفية، والأشواق
الوجدانية.

محمد بن يوسف الدلائي (204) وهو كما يعبر عنه
اسمه من أهل الدلاء، غير أن المصادر التي بين
أيدينا لا تتحدث عنه إلا وهو مقيم بزاوية أبي
الجدد، يشارك الصالح الشرقي في تشييد معالم
الزاوية الصوفية، أو مقيم برفقة إخوة الشيخ
التستاوتي وأبنائه بتستاوت. وقد احتل هذا الشيخ
مركزا مهما في قلوب معاصرة، لتجرده وصلاحه
وعلمه، فكان لا يناديه الشيخ أبو العباس التستاوتي
في رسائله إلا بسيدنا الأكبر، والأجل العالم الأكمل.
(205) وقد ربطته قرابة الصهر والشيوخة بالشيخ
العياشي التستاوتي، فذكره في طالعة كناشته ضمن
شيوخه الذين استفاد منهم العلم والتصوف، (206)
كما رثاه بقصيدته عند وفاته عام 1128، محليا
إياه يصهره العالم العلامة الولي الصالح محمد بن
يوسف. (206)

حسين بن شرحبيل البوسعيدي (ت: 1142) أحد
أقطاب الطريقة الناصرية، وشيخ زاويتها، عاشر
أحمد ابن ناصر، فكان مقرباً إليه. وألف فيه كتابه
"إنارة البصائر". ولموقعه الصوفي المتميز في الزاوية
الناصرية اعتبر نفسه المرشح لتولي مشيخة
الطريقة الناصرية، وخلافة الشيخ أبي العباس بن
ناصر بعد وفاته 1127، ولذلك غادر تامكروت،
وشيد زاويته ←

196) يستفاد ذلك من فهرسة أخيه محمد صالح
الحبيب: 304 - وفهرسة تلميذه أبي العباس الهاللي:
10 - وينظر كذلك: ثمرة أنسي للحوات: 32 مخ خ ح:
ز 11861.

197) راجع الإحياء والانتعاش 2/182، 191،

194 ب مخ خ الحمزاوية.

198) مختصر اليتيمة: 105.

- 199) تنظر ترجمته مفصلة في: أدب التستاوتي من خلال نزهة الناظر- لحمد الطريبق / رسالة جامعية / كلية الآداب / الرباط / موسم 85-1986.
- 200) الزاوية الشرقاوية: 201.
- 201) توفى 1134 / تنظر ترجمته في: فهارس علماء المغرب 745/3 والمراجع المذكورة.
- 202) مختصر اليتيمة: 148.
- 203) كناشة العياشي التستاوتي: 71.
- 204) توفى عام 1128 / له ترجمة وذكر في: كناشة العياشي التستاوتي: 4، 376 - نزهة الناظر 1/114، 115 ز، 122 - مختصر اليتيمة: 26 - الزاوية الشرقاوية 166.
- 205) راجع نزهة الناظر 1/115، 114.
- 206) راجع كناشة العياشي التستاوتي: 4، 376 مخ خ ح: 1928.
- على مشارف سوس من جهة درعة، فأنحاز إليه اتباعه. (207).

كانت له رحلات متعددة إلى الزاوية الشرقاوية، والإقامة بها في كنف الشيخ الصالح. فكان يجتمع إليه الطلبة والمريدون للوعظ والتربية. (208) ولموقع الزاوية الصوفي والعلمي، وأهمية شيخها الصالح الشرقي، أصبحت الزاوية الشرقاوية مقصد وفود العلماء من الشيوخ والطلبة، ومن مختلف مناطق المغرب، بل إن من هذه الوفود من كانت ترد جماعة، تضم الفقهاء والعلماء والأعيان لمنطقة معينة، كما هو الحال مع وفد رباط الفتح، وقد كان يضم عددا من هذه الفئات عند زيارته لزاوية أبي الجعد. (209)

ب) الزاوية العياشية

1) يرجع ظهور الزاوية العياشية إلى ما يقارب منتصف القرن الحادي عشر للهجرة، وذلك على يد محمد بن أبي بكر العياشي (210) (ت: 1067)، حين أسس مسكنه ومسجده بتزرفت - موطن الزاوية ومحل أبيه وجده - عام 1044. فانهالت عليه وفود الزائرين " تأتي إليه من كل فج عميق، يتبركون به، ويدلهم على الطريق". (211)

وقد كان لـمحمد بن أبي بكر اتصال بشيوخ عصره
وصلحائه، فشهدوا بالولاية والصلاح، وسلموا له أمر
القيام بالطريقة وإرشاد الراغبين فيها، كالشيخ أحمد
أذفال الدرعي (ت: 1023) والشيخ أبي بكر الدلائي
(1021) وولده الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت:
1046) وغيرهم. (212)

وقد استعان في إقرار أمر الزاوية وخدمة الوفود
بأقربائه، ومن رغب في الإقامة عنده من الزائرين.
ومنذ أول مرة جعل من المسجد حلقة للعلم وإقامة
للدرس، يتناوب على الإقراء به، هو وبعض أقربائه من
العلماء، فيفد عليهم طلبة النواحي من الراغبين في
العلم، ليجدوا عندهم الرعاية العلمية، والإقامة
المتيسرة بما يمدونهم به من طعام وإنفاق وسكن،
(213) وليكون مع أبناء الزاوية حلقة علمية كبرى
سيكون لها شأن مهم في نشر العلم ببادية هذه المناطق
وتحريك النشاط العلمي والأدبي بها خلال القرن
الحادي عشر للهجرة

وقد وصف بعضهم الطوائف التي عمرت الزاوية في
عهدنا الأول، وخص طائفة العلماء بينها بقوله:
"والرابعة أهل الهمم العالية، والخلائق الزكية،
بأيديهم دواوين العلوم، وأزمة كل منطوق ومفهوم.
رغبتهم الاطلاع على الأمور الغامضة الخفية، ليكونوا
على بصيرة فيما حلموا من حفظ الشريعة البيضاء
النقية، تساس بأقلامهم الأقاليم، ويخضع لرؤيتهم كل
عالم وحاكم، هم شيوخ مشايخ الإسلام، وأعلام علماء
الأعلام، قد عقدوا مجلسا لتعليم الأصاغر والأكابر،
وتنشر لدوي أصواتهم النفوس والخواطر، ليست لهم

(207) كانت مسألة تولي ابن شرحبيل مشيخة

الطريقة الناصرية من الأشياء التي فجرت
الصراع داخل هذه الزاوية، وبين أنصارها
وأتباعها. إذ ادعى ابن شرحبيل أن الشيخ أبا
العباس أحمد بن ناصر قد أوصى له بخلافته،
وعاكسه في ذلك أحفاد الشيخ محمد بن ناصر.

وألفت في الموضوع رسائل تناصر هذا الموقف أو
تعاديه - راجع في ذلك: الدرر المرصعة 459 وما
بعدها - الدرّة الجليّة: 81 وما بعد - وقد أورد
نص رسالة ألفها في الموضوع محمد بن موسى
الإسحاقى سماها: زجر الداعي القاصر عن
معارضة الشيخ أبي عمران بن ناصر / وطلعة
المشتري 125/2.

(208) راجع مختصر اليتيمة: 35،50.

(209) راجع المرقى: 175.

(210) راجع ترجمته في فهرسة أبي سالم الكبرى:

اقتضاء الأثر: 114 والمراجع المذكورة بالهامش /

رسالة جامعة مرقونة.

(211) الإحياء، 12ب

(212) راجع عن اتصاله بهؤلاء الشيوخ: اقتضاء

الأثر: 115،117 وما بعدها، والمظان المحال عليها

في الهامش.

(213) راجع الإحياء: 13أ.

حرفة إلا تعمير سوق العلم لأهل المحاير
والطروس..."(214)

ويستمر خلفه قريبه ابن عبد الجبار (215) (ت؛
1082) - وقد تولى أمر الزاوية بعده - على نفس
السبيل. فيكرم الأضياف من الوفود والزائرين. ويخص
الطلبة منهم بمزيد العناية. " فاتسعت دائرة العلم في
الزاوية، وأقبل طلابه إليها من كل زاوية".(216)
وعند عودة أهل الزاوية إلى ديارهم مع أول عهد المولى
إسماعيل (فاتح عام 1083) بعد فترة النفي والإبعاد،
وإجبارية الإقامة بفاس مدة عهد المولى الرشيد،
(217) تعود الزاوية إلى سالف عهدها، فاتخذ أبنائها
"القراءة والكتابة صنعة، والدارية والرواية حرفة،
ورزقهم الله من حيث لم يحتسبوا رزقا واسعا، وصبت
عليهم الهدايا والصدقات صبا نافعا"، (217) وتستوفي
الزاوية العياشية كل مقوماتها للشروع في العمل العلمي،
كمركز مهم يقصده الراغبون في العلم. من طلبة
تافيلالت، وجبال الأطلس.

وهكذا ومع إطلالة عصر المولى إسماعيل، كان بزواية
آيت عياش " عدد وفير" من العلماء الذين اكتمل
عندهم النصاب العلمي، رواية ودراية، فأقاموا
مجالسهم العلمية بالزاوية. وأصبحوا مقصد كثير من
أصحاب الرواية والإسناد من أهل فاس، وغيرها .
(218)

وما يكاد يطل القرن الثاني عشر للهجرة حتى تكون
الزاوية العياشية قد أصبحت مركز إشعاع علمي وأدبي،
يفوق في حجم عطائه العلمي كمركز في البادية، بعض
مراكز الحاضرة آنذاك. فتنكون من أبنائه طائفة مهمة
من العلماء المشتغلين بالعلم والأدب درسا وتأليفا.
ويكون لهم وجود بارز بما كتبوه في مختلف المجالات
العلمية والأدبية، مما يكون تراثا مهما بين ركام التراث
الفكري والأدبي الذي أنتجه عصر المولى إسماعيل.
(2) على أن ميزة الزاوية العياشية - باستثناء لحظة
التأسيس - أنها لم تكن زاوية تتبنى طريقا صوفيا
كبقية الزوايا المعاصرة لها، ولم يكن لها زعيم روحي في
مستوى الناصرية أو الشرقاوية، ينتسب إليه الوافدون

عليه، ويرتبطون بالأخذ عليه الطريقة والعهود والأذكار والأحزاب والوظائف. وإنما كانت زاوية علمية يقتصر شيوخها على العلم وإقامة حلقات الدرس، فكانت علاقة شيوخها بالوافدين عليهم من الطلبة والأساتذة علمية صرفة، يجمعهم الدرس، ويقرب بينهم العلم، ولم يكونوا شيوخ تصوف أو أصحاب طريقة ينفردون بها، بل كانوا هم أنفسهم أتباعا لغيرهم، ينتسبون إلى هذا الشيخ أو ذاك. فكان لـمحمد بن أبي بكر العياشي مؤسس الزاوية شيوخ، ينتسب إليهم طريقة ويتبرك بهم. (219) وكان لأبي سالم العياشي انتماء إلى أشياخ عدة، مغربا ومشرقا، كالشيخ محمد بن ناصر، وغيره ممن ذكرهم في فهرسته الكبرى. (220)

وكان لحفيده الشيخ محمد بن حمزة العياشي تشيع وانتساب إلى بني ناصر الدرعيين. ولطالما كاتبه في ذلك أبو العباس الخليفة ابن ناصر، يجيزه، ويمنحه الإذن في الانتساب إلى الطريقة الناصرية، ويوصيه كالعادة المتبعة عندهم في ذلك. (221)

(214) الإحياء: 13أ.

(215) توفى بفاس أثناء محنة أهل الزاوية

العايشية إليها. ترجمته في: الإحياء: 14أ وما بعدها.

(216) الإحياء: 14أ.

(217) راجع عن هذه المحنة الإحياء، 15 ب.

(218) راجع المنح البادية للفاسي: 68، 69 مخ خ ع؛

ك 3251 حيث أورد بين شيوخه الخمسة عشر،

ثلاثة من رجال الزاوية العياشية.

(219) راجع: اقتفاء الأثر 114 وما بعدها -

والإحياء 8 ب وما بعدها.

(220) راجع: اقتفاء الأثر 183 وما بعدها.

(221) الإحياء: 103أ.

وقد أدى هذا إلى أن يكون أكثر الوافدين على الزاوية ممن تحركهم دوافع العلم أخذا أو عطاء. وليس بقصد الزيارة والترك كعادة الزوايا الأخرى.

ومن بين هؤلاء الوافدين مجموعة من شيوخ العصر وعلمائه ممن ساهموا - وبمشاركة العلماء من أبناء الزاوية - في خلق جو من الحركة العلمية، انتفع بها مغرب القرن الحادي عشر والثاني.

وأدى هذا أيضا إلى أن ترتبط الزاوية العياشية أكثر، بالنواحي المحيطة بها، من قبائل الأطلس، وبادية تافيلالت، ويسري تأثيرها العلمي فيها، وذلك بواسطة أبناء هذه النواحي من الطلبة الذين قصدوا الزاوية للدراسة، وحضور حلقات العلم بها.

(3) وانطلاقا من هذا التمييز في الخط العام، الذي رسمه شيوخ الزوايا المتعاقبون على أمرها، فإننا نجد أثر الزاوية في تحريك النشاط العلمي والأدبي يتمثل في المظاهر التالية:

أ- إقامة الدرس العلمي:

وهو درس شمل مختلف العلوم التي كانت رائجة آنذاك من فقه ونحو وأصول وحديث وتفسير، وأدب وغير ذلك. وكما شمل جانب الدراية بالبحث والتحقيق، كذلك شمل الرواية والإسناد. وهذه العملية توارد على إنجاز طائفتان من المدرسين:

الأولى: طائفة الشيوخ من رجال الزاوية ممن تعاطوا للدرس والإقراء، وهم عدد كبير، وكانهم جعلوا من خدمة العلم حرفة لهم وصناعة، (222) في مقدمتهم؛ أبو سالم العياشي (223) (ت: 1090)؛ وهو الشخصية الأكثر إثارة وعلماء بين أبناء الزاوية. مارس الدرس والإقراء، واهتم بالرواية والإسناد، فكثرت تلامذته والآخذون عليه بالحضور أو بالمكاتبة، في الزاوية وغيرها من مراكز العلم بالمغرب، فكتب الإجازات المختلفة نظماً ونثراً، وأطلق الإذن للاتصال بروايته وأسانيده، فكان أثره كبيراً في عصره.

محمد بن محمد عبد الجبار العياشي (224) (ت: 1090) وهو الشخصية الثانية بعد أبي سالم في

الزاوية. وانفرد بالأمر بعد وفاته. انحصر نشاطه
في التعليم وإدارة حلقة الدرس في الزاوية.
كان تكوينه بالزاوية العياشية، وعمدته في الأخذ أبو
سالم العياشي.

مارس التدريس بالزاوية، وتخرج على يده أكثر
الشخصيات العلمية التي عرفتها المنطقة، من أبناء
عمومته، وغيرهم من الطارئين على الزاوية، (225)
فكتب الإجازات، وأسندت إليه الروايات في الفهارس
والإثبات عند معاصريه.

ويحتفظ في الأحياء (226) بنص رسالة كتبها على
لسان طلبته إلى رفيقه في الطلب، العلامة الأديب أبي
العباس أحمد بن إبراهيم المراكشي (ت: 1115)، وفيها
يسمي عددا وافرا من تلامذته الملازمين لدرسه، فيصوغ
على لسان كل واحد منهم نص تحيته للشيخ شعرا
ونثرا.

- محمد بن يوسف العياشي (227) (ت: 1111)، وهو
الشخصية الثالثة التي أختارها صاحب المنح البادية



-
- (222) الإحياء والانتعاش 15 ب.
- (223) تنظر ترجمته في: فهارس علماء المغرب
732/3 والمراجع المذكورة - أبو سالم العياشي
شاعرا، والمراجع التي يحيل عليها / رسالة جامعية
مرقونة / مقدمة التحقيق الأثر 18.
- (224) ترجمته في: المنح البادية: 68 - فهرسة
محمد صالح الحبيب 306 - الإحياء والانتعاش:
121أ - 144أ - الحركة الفكرية لحجي،
510/2 والمراجع المذكورة.
- (225) راجع المنح البادية: 68 - الإحياء
والانتعاش: 154 ب
- (226) راجع الإحياء، 138 ب
- (227) ترجمته في: المنح البادية: 69 - الإحياء
والانتعاش 150أ - النشر 118/3 - النقاط
الدرر: 280.

من بين رجال الزاوية العياشية، لتكون بين شيوخه
الخمسة عشر، ممن يملكون الأسانيد العالية، والروايات
الوافية، في المغرب والمشرق آنذاك.

أخذ على شيوخ الزاوية العياشية، واعتمد أبا سالم
العياشي، وقريبه محمد بن محمد ابن عبد الجبار،
واتصل بشيوخ فاس فاستفاد منهم.

مارس التدريس في مسجد الزاوية وزواج بينه وبين
القضاء والفتوى، وأصبح المرجوع إليه في العلم بعد
وفاة شيوخه السابقين.

كان ماهرا في مختلف العلوم والفنون، ولاسيما الفقه
ونوازله، واشتهر بمشاركته الأدبية بكثرة كتابته
الرسائل.

وأكثر علماء الزاوية خلال القرن الثاني هم من
تلامذته المتخرجين على يده.

محمد بن عبد الرحمن العياشي (228) (ت؛
1100) وهو الشخصية الرابعة الأكثر انتباها في
الزاوية العياشية بعد الأسماء المتقدمة، وهو من
أقران الذي يليه قبله.

كان تكوينه بالزاوية على يد شيوخها المتقدمين، ولازم درس ابن عبد الجبار، وتخرج به. واستفاد من شيوخ المشرق في مصر، وغيرها أثناء رحلته عام 1099، فحصل الإجازات الكثيرة من علمائه.

استقر بالزاوية العياشية ومارس الإقراء والتدريس، وحلق حوله الطلبة، واستفادوا منه دراية ورواية، وقد كتب للراغبين في علمه وروايته الإجازات الكثيرة. وقد أقرأ " التفسير والحديث والفقہ والنحو والأصلين والمنطق والبيان والحساب والعروض والتصريف".

(229)

الثانية: طائفة الشيوخ الذين طرأوا على الزاوية، وكان لهم نشاط علمي بها، إما بالتدريس وإما بتنشيط الحركة الأدبية عن طريق استثارة دواعي القول الأدبي عند أبناء الزاوية من الأدباء أو غير ذلك. في مقدمة هؤلاء:

عثمان اليوسي (203) (ت: 1084) أحد تلامذته الزاوية، وأحد شيوخها فيما بعد، طالت مدة إقامته بها حتى عد من أبنائها، ولازم شيوخها. فأخذ كثيرا

عن محمد بن أبي بكر العياشي، وابن عند الجبار،
وأكثر من الأخذ عن الرحالة أبي سالم العياشي،
وقد كتب له هذا الأخير إجازة بفهرسته الكبرى
اقتفاء الأثر. (231)

وأشتهر بالأدب وقول الشعر، وقصر أكثره على رجال
الزاوية العياشية وشيوخها مدحا، ورتاء، ومراجعة.
قضى أكثر حياته برفقة رجال الزاوية حيث تعاطى
التدريس والإقراء بجانبهم.

وظل ابنه عبد القادر أيضا بين طلبة الزاوية يحظى
بإجازات شيوخها. (232)

محمد بن أحمد بن الحاج السلمي (233) (ت: 1128).
إلتجأ إلى الزاوية العياشية، وأقام بها
غداة فتنة الحراطين ومؤاخذه المتشددين من
الفقهاء فيها. وقد كان للرجل ووالده، (234) موقف
متشدد في ذلك، عرضهما لكثير من المضايقات.
(235)

(228) ترجمته في الإحياء 154 ب، وكانت ولادته عام 1063.

(229) راجع الإحياء: 164 ب حيث ورد ذلك في صدر إجازة خص بها أحد تلامذته.

(230) ترجمته في: الثغر الباسم: 27 وما بعدها

حبت مراجعاته مع الشيخ أبي سالم النثرية

والشعرية - الإحياء والانتعاش: 22أ، 23أ،

61ب... 79أ وفي غير موضع - نشر المثاني 206/2

- وراجع رحلة أبي سالم 76/1، 79، 81 -

التقاط الدرر 196.

(231) راجع نص الإجازة في النشر 207/2.

(232) راجع الإحياء والانتعاش: 155 ب، وقد ورد

اسمه ضمن المستفيدين من إجازة ابن عبد الجبار

- والإحياء 91 ب وكان من المستفيدين من إجازة

الشيخ الخرشي لحمزة العياشي وغيره

(233) ترجمته في: رياض الورد 77أ - 80 ب -

الإحياء والانتعاش: 108أ - شجرة النور: 332.

(234) راجع عن موقف والده أحمد بن الحاج؛
فهرسة ادريس المنجرة؛ 78 ب - وعن موقف
المترجم؛ راجع رياض الورد 80أ.

(235) يستفاد ذلك من خلال المراجعات الشعرية
المتبادلة بين ابن الحاج المذكور وصديقه الأديب
عبد الله جسوس / راجع رياض الورد 78 ب.

وفي الإحياء والانتعاش ورياض الورد مجموعة من
الإشارات المتفرقة التي تتحدث عن نشاط الرجل أثناء
إقامته بالزاوية العياشية. (236)

عبد الله بن عبد السلام جسوس (237) (ت؛
1136) أديب فاس وشاعرها، استقر مدة بالزاوية
العياشية. ولعلها عقب محنة والده الشهيد عبد
السلام جسوس. فأقام في كنف الشيخ حمزة
العياشي. وفي الإحياء والانتعاش إشارات إلى نشاط
الرجل العلمي، وإلى المراجعات الشعرية التي
تبادلها مع بعض رجال الزاوية أثناء إقامته بها.

وبالأخص مع محمد بن حمزة، وقد طلب منه مرة
أن يعيره كتاب عقود الجمان للسيوطي.
أحمد الحبيب السجلماسي (238) (ت: 1165) وهو
من الشخصيات العلمية المهمة في منطقة تافيلالت.
كان تكوينه ودراسته بالزاوية العياشية، حيث قضى
مدة طويلة بها، لازم فيها مجالس محمد ابن محمد بن
عبد الجبار العياشي، (239) ومحمد بن يوسف
العياشي، والشيخ حمزة بن أبي سالم، وغيرهم من شيوخ
الزاوية آنذاك.

ورغم أن نشاطه في التدريس كان في منطقة إقامته
بتافيلالت، حيث أحيى بها العلم والدراسة، فإنه كان
على صلة مستمرة بالزاوية العياشية ورجالها، يزد
عليها، فيقيم بها مدة الشهرين أو أكثر، يلازم فيها
التدريس. وقد قرأ عليه بها كثير من أبناء الزاوية
وغيرهم. (240)

والملاحظ أن أخاه صالح الحبيب السجلماسي (241)
(ت: 1179) قد جرى على طريقته، فكان يقضي

الفترات الطويلة بالزاوية العياشية مدرسا للحديث
وغيره. (242)

أحمد بن محمد بن قاسم بن زاكور (243) (ت؛
1176)، ولد الشاعر الكبير محمد بن زاكور الفاسي،
كان على جانب كبير من العلم والأدب. واستقر مدته
بالزاوية العياشية، حيث عمل على نسخ بعض
مؤلفات والده. (224) وجرت بينه وبين بعض أدباء
الزاوية العياشية مراجعات شعرية. (245)

- (236) الإحياء والانتعاش: 108 أ، 109 أ.
- (237) تنظر ترجمته في: كتابه النبراس: في غير
موضع - المسلك السهل: 139، 192 - البدور
الضاوية: 410 - رياض الورد 78 ب، 84 أ -
الإحياء والانتعاش 107 ب - النشر 280/3،
361 - التقا الدرر 330 - السلوة 14/2 -
شجرة النور: 331 - الشعر والشعراء للنميشي:
128 ضمن مجلة الثقافة الجديدة.

238) تنظر ترجمته في فهرسته : كلها مخ خ ع ك
855- فهرسة أخيه صالح الحبيب : 304 -
فهرسة أبي العباس الهالبي : 10 - ثمرة أنسي
للحوات : 32 - فهرسة يحيى البكري الجراري
311 مخ ح ع : ج 71 ضمن مجموع - فهرسة
الورزافي الصغير : 3 مخ ح داود بتطوان - نشر
المثاني 94/4 - التقاط الدرر 424 - الإحياء
والانتعاش 139أ وفي غير موضع - سلوة الأنفاس
349/2 - الإعلام للمراكشي 383/2 - شجرة
النور 354 - فهارس علماء المغرب 754/3
والمراجع المذكورة.

239) راجع الإحياء والانتعاش : 139أ - وفهرسة
محمد صالح الحبيب : 306.

240) من تلامذته : عبد الله بن حمزة، ومحمد بن
عبد الله بن حمزة، وعبد الله بن عمر بن أبي بكر
العياشي و... وغيرهم، حيث يرد التمصيص على
ذلك في تراجمهم من كتاب : الإحياء والانتعاش :
182، 191، 199أ

241) ترجمته في: فهرسته: كلها - فهرسة
الحضيكى 80 - فهرسة الورزازى الصغير: 3 -
فهرسة التسكدلتى: 18.

242) راجع فهرسة الورزازى الصغير: 3 حيث يذكر
أنه لازمه مدة أربعين يوما بالزاوية العهاشية
يقراً عليه الحديث.

243) ترجمته في تمة الإحياء 178أ - تذكره
المحسنين: عند وفيات 1176 - سلوة الأنفاس
353/3 - الشعر والشعراء للنميشى 130 -
المنونى: 59 / الدراسات اللغوية في المغرب العلوى /
دعوة الحق / عدد 4 / سنة 11 - و84 / عدد 10 /
سنة 16.

244) من ذلك مجموع بالزاوية الحمزاوية رقم
171، به شرح الحلية البديعية لوالده، وشرح
لامية العرب لوالده أيضاً، وشرح المقصور والممدود
له أيضاً. وفي الأخير تصريح باسمه وتاريخ النسخ
الذى هو سنة 1152 - ومن منتسخاته أيضاً:
مختصر المعيار / مخ خ، الحمزاوية: 341 -

ونفائس الدرر من حواشي المختصر لـحمد الحريشي
/ مخ ح 4090.

(245) راجع الإحياء: 178أ - والشعر للنميشي؛
130 - ويعرف من مؤلفاته كتاب: إعفاء العين
والأثر من السقم والضرر / مخ خ الجامع الكبير
بوزان رقم 1211 - وراجع وصف هذا الكتاب،
والحديث على نسخة أخرى منه عند: المنوني 59
/ نشاط الدراسات اللغوية المغرب العلوي / دعوة
الحق/ عدد4/ سنة11.

ب- تشييد المكتبات واقتناء موادها؛
ولكي يكتمل الأثر العلمي للزاوية، عمد أشياخها إلى
اقتناء الكتب شراء وانتساخا، لتكوين مكتبة تلبى
حاجات الشيوخ والطلبة من الكتاب في القراءة
والمطالعة وعملية التأليف. وهكذا كانت البداية مع
النواة الأولى للمكتبة، وذلك حين أوقف محمد بن أبي
بكر وابن عبد الله الجبار جميع كتبهما على طلبة
العلم من أبنائهما.

ونمى ذلك أبو سالم العياشي، وقد استصحب معه في رحلاته المشرقية مجموعة من الأغلاق النفيسة في مختلف العلوم والفنون.

وأضاف إليها الشيخ حمزة، ولده (246) (ت: 1130)، من الكتب الشيء الكثير، فكان الشيوخ المعاصرون له في المغرب يبعثون لأبنائه، وأقربائهم بنسخ مؤلفاتهم، وقد صححت موادها، وعرضت على أصولها. (247)

وعمل الشيخ حمزة من جهته على اقتناء الكتب بالشراء أو النسخ، فجمع في رحلته المشرقية عددا من الكتب، حتى إن المكتبة قد اشتهرت باسمه. (248) وما تزال في رفوف المكتبة اليوم مجموعة من المؤلفات، قام بانتساخها شيوخ الزاوية من أبنائها والطارئين (249) عليها، مما جعل من المكتبة نشاطا شبه جماعي، شارك فيه كل من انتفع بعلم أو غيره من الزاوية.

وقد كان وجود المكتبة بهذا الشكل عاملا أثر على واجهة الحركة الثقافية بالمنطقة، فوفر للراغبين من الطلبة احتياجاتهم من الكتاب، وهياً عن طريق الإعارة

جانب الاستفادة من المكتبة للطلبة والشيوخ على
السواء.

فقد ورد في الإحياء والانتعاش بعض المراجعات
الشعرية التي يطلب فيها أصحابها من الشيوخ القيمين
على المكتبة، إعاره بعض هذه الكتب.
من ذلك ما صاغه الأديب عبد الله جسوس يطلب من
الشيخ الأديب محمد بن حمزة (توفي بعد 1140)
إعارته كتاب معاهد التنصيص للعباسي في مقطوعة
طويلة: (250)

أعر محبا كلفا بالعللا معاهدا مشترطا
للضمان

وقد تجاوز عامل وجود المكتبة مجرد تيسير المرجع
للدرس والقراءة، ليصبح حافظا لعملية الكتابة
والتأليف عند أبناء الزاوية من الطلبة والشيوخ،
وليكون عاملا على استمرارية وجود الرصيد التراثي
بهذه المنطقة، والحفاظ عليه. وضمنه أكثر الأعمال
التي أنتجها أبناء الزاوية، إذ لم تتسرب يد الضياع
إليها، إلا في نسبة قليلة، حيث ما تزال الأصول

التأليفية التي كتبها أبناء الزاوية ضمن محتويات
مكتبتهم القائمة إلى اليوم.

ج - ممارسة التأليف والكتابة الأدبية :

يمثل هذا المظهر النتيجة الأولى من نتائج المظهرين
السابقين، إذ عملت مواد التكوين العلمي في حلقات
دروس الشيوخ، وتيسير الاستفادة من المكتبة والكتاب
على خلق جيل من العلماء أبناء الزاوية، فمارسوا
بجانب التدريس والتحليق بالعلم عملية التأليف
والكتابة الأدبية.

-
- 246) تنظر ترجمته: في : الإحياء والانتعاش 91أ -
103أ فهرسة محمد صالح الحبيب: 307 نشر المثاني
237/3 - التقاط الدرر 313 - الدرّة الجليّة: 132
- شجرة النور: 336. مكتبة الزاوية الحمزاوية
للمنوني / مجلة تطوان / عدد 8.
247) من ذلك مؤلفات محمد المسناوي ضمن مجموع
رقم 167، وبآخرها تفريظ لـ محمد بن حمزة -

ومؤلفات أبي الحسن الحريشي رقم 402 وعليها إجازة
- ومؤلفات أحمد بن يعقوب الولاقي: رقم 254، 161
وغيرها. راجع المنوني في: الوراقة / مجلة البحث
العلمي / عدد: 16، 18 - ومجلة تطوان / عدد 8.
248) راجع عن المكتبة وتاريخها: المنوني: ومجلة
تطوان / عدد 8.

249) من ذلك ما نسخه أحمد بن زاكور من مؤلفات
والده (مجموع رقم 171) / ومنها ما كتبه الشيخ علي
ابن حمود المنصوري (حيا 1158) لشرح همزية محمد
بن عبد الله عبد الرحمن الصومعي.
250) راجع الإحياء: 108أ.

وهي نتيجة طبيعية لم تنفرد بها هذه الزاوية. فقد
كان لعامل الدرس في الزاوية التي عرفها المغرب -
حاضرة وبادية - نتائج مهمة، برزت آثارها في تصعيد
نشاط أبنائها وأتباعها في مجالي التأليف العلمي
والكتابة الأدبية.

وهكذا كان لأبناء الزاوية العياشية نشاط وفير في العمل التأليفي، تعاقب على إنجاز وحداته أجيال من الآباء والأبناء والأحفاد، في مقدمتهم:

1) أبو سالم العياشي (ت: 1090)، وهو صاحب مؤلفات كثيرة، منها: (251)

- رحلته الكبيرة: ماء الموائد...
- فهرسته الكبرى: اقتفاء الأثر
- فهرسته الصغرى: إتحاف الأخلاء.
- الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف. (242)
- إظهار المنة في المبشرين بالجنة.
- نظم بيوع ابن جماعة، وشرحه.
- القول المحكم في صحة عقود الأصم والأبكم.
- تنبيه أهل المهم العالية في الإعراض عن الدنيا الفانية

- نظم أصول الطريقة، للإمام زروق.
- أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل
- العلاوة فيمن ركع في مجلس التلاوة

- هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر.
- وسيلة الغريق بأئمة الطريق.
- التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز. (253)
- وله أدب كثير شعرا ونثرا
- (2) محمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي (ت: 1090) من مؤلفاته : (255)
- فهرسة نظمية أجاز بها محمد بن عبد الرحمن العياشي.
- نظم الجمل وشرحه.
- شرح منظومة ابن عاشر المرشد المعين.
- زوبعة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين وسبعين من الجوع والشقاق. (256)
- له أدب كثير شعر، وموشحات، ورسائل. (257)
- (3) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت: 1100) :
- له مجموع إجازات نظما ونثرا.

- إجازة طويلة كتبها لابن عمه عمر بن عبد
الكريم. (258)

- له أدب كثير، وقد أثبت له في الإحياء بعض
القصاصد، محيلاً على كثرة أدبه وجودته. (259)

251) راجع لائحة مؤلفات أبي سالم العياشي عند كل
من: عبد الله بنصر علوي؛ أبو سالم العياشي شاعراً؛
113 - رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بفاس -
فضول علي؛ أبو سالم العياشي ومؤلفاته النثرية؛ 75 /
رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بفاس. وسأقتصر
في عرض هذه اللائحة على ما ورد منها في الإحياء
والانتعاش؛ 48ب.

252) فصل فيها قضية لتوحيد الشهيرة عند أهل
سجلماسة الذين كفروا من لم يعرف التوحيد بأصوله
من العوام.

253) هي الرحلة الصغرى التي كتبها أبو سالم
العياشي للقاضي أحمد بن سعيد المجيلدي ينبهه إلى ما

يلزم القيام به في كل مراحل الطريق إلى الحجاز: منها
مخ خ ع: ك 43 راجع المصادر للمنوني 187/1.

254) راجع عن أدبه: لبو سالم العياشي شاعرا:
113- وأبو سالم العياشي ومؤلفاته النثرية: 75

والمراجع المحال عليها.

255) ورد نصها في الإحياء: 154 ب - 159 أ.

256) راجع نصها في الإحياء: 130 أ - 138 أ.

257) أورد قسما لا بأس به من أدبه في الإحياء:
122 ب - 138 ب.

258) راجع نصها في الإحياء: 164 ب.

259) راجع في الإحياء: 163 أ.

4) محمد بن يوسف العياشي (ت: 1111) من

مؤلفاته: (260)

- فهرسة.

- نوازل مفيدة.

- له أدب كثير. وقد أورد بعضه في الإحياء، محيلا

على كثرة ماله من القصائد والرسائل.

5) عمر بن عبد الكريم العياشي (261) (ت: 1122)

وهو والد مؤلف كتاب الإحياء والانتعاش، له مشاركة

علمية وأدبية، ومن مؤلفاته:

- مجموعة إجازات من علماء المشرق أخذ عنهم

1098 أثناء رحلته الحجازية. (262)

- رسائل ونوازل مفيدة. أورد بعضها في الإحياء.

(263)

- وله أدب كثير.

6) عبد العالي بن أحمد بن محمد بن عبد الجبار

العياشي (264) (ت: 1126):

وصفه في الإحياء بأنه كان " بليغا شاعرا كاتباً "

وحلاه بالفقيه النحوي اللغوي، أخذ بالزاوية على

شيوخها، فقرأ على محمد بن يوسف، ومحمد بن عبد

الرحمن والشيخ حمزة بن أبي سالم. وأخذ عن الشيخ

أحمد بن ناصر بدرعة، ورحل إلى الحج عام 1124.

من مؤلفاته: (265)

قصيدته نظم فيها قواعد الإعراب، وقيد عليها شرحاً

عجيباً.

قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة
على حروف الهجاء.

وله أدب، وأورد بعض شعره في الإحياء.

7) محمد بن حمزة بن أبي سالم كان حيا (266) (ت: 1135)؛

أهم شخصية علمية في الزاوية على شيوخها، كوالده
الشيخ حمزة، ومحمد بن يوسف، ومحمد بن عبد
الرحمن، وغيرهم. واستقر مدة بفاس أخذ فيها على
أبي الحسن الحريشي ومحمد المسناوي، (267) وأبي
العباس الجرندي، وأجازوه جميعا. كما حضر درس أبي
العباس الولاقي بمكناس وأجازه أيضا. (268)
اشتهر محمد بن حمزة بأدبه وتآليفه الكثيرة، منها:
(269)

اختصار حلية الأبرار وقوة عيون أبقار الأفكار.

تأليف في الحديث.

شرح على ألفية ابن مالك.

شرح على لامية العجم.

شرح على الشواهد.

260) الإحياء: 150أ / وتوجد بعض نوازله وكتابات
الأدبية في مجموع مخطوط بالخرانة الحمزاوية رقم
249.

261) هو والد مؤلف كتاب الإحياء / راجع ترجمته
المفصلة في: الإحياء: 164 ب.

262) أورد نصها في الإحياء: 166أ / وقد استفاد
ولده مؤلف الإحياء من هذه الإجازات هو وإخوته.

263) الإحياء 171 ب

264) ترجمته في الإحياء 173 ب.

265) الإحياء 174 ب.

266) ترجمته في الإحياء: 103 – 120 ب.

267) كتب محمد بن حمزة تقریظا لطيفا على كتاب

شيخه محمد المسناوي: جهد المقل القاصر. وقد أورد

نصه الشعري في الإحياء: 118أ / وتاريخه شعبان عام

1135، وفي الخزانة الحمزاوية مجموع رقم 167

يضم مؤلفات المسناوي المذكور، وضمنها جهد المقل...
وفي آخر نص التقريظ كاملا بخط محمد بن حمزة.
وفي الخزانة أيضا شرح الشقا للحريشي. وعليه إجازة
من المؤلف لمحمد بن حمزة.

(268) إجازات هؤلاء جميعا وارده بنصها في الإحياء

104أ بإجازة محمد بن عبد القادر الفاسي.

(269) لائحة هذه المؤلفات وارده في: الإحياء: 103

ب.

منظومة في علم الهجاء

منظومة في المنطق نحو 400 بيت.

الشعر الباسم في جملة من كلام أبي محمد سالم.

(270)

إنشاد الشارد. (271)

وله شعر كثير، أورد منه في الإحياء قرابة ثلاثين

وحده بين مقطعة وقصيدة، (272) ويعتبر محمد

بن حمزة شاعر الزاوية وفحها.

(8) عمر بن محمد بن أبي بكر (ت: 1128) : (273)

أحد شيوخ الزاوية الذين عمروا طويلا. اشتهر بالزهد
والتقوى وإقامة مجالس الوعظ والترغيب. أخذ عنه
وأحفادهم من مؤلفاته.

رسالة في أنساب رجال آيت عياش وأخبار أسلافهم.
(274)

له أدب لا بأس به، يجري كله في الزهد ومدح الرسول،
وقد قدم له في الإحياء بقوله: " وله رضي الله عنه
كلام وشعر ككلام أهل الأحوال. جله في تعزيز نفسه
وبكائه، وفي توكله على الله، وفي تفكره في عجائب
صنع الله، وغير ذلك". (275)

(9) عبد الله بن عمر بن عبد الكريم (كان حيا عام
1135) : (276)

مؤرخ الزاوية وأديبها، أخذ عن والده عمر بن عبد
الكريم، وعم عمه الفقيه البركة عمر بن محمد بن
أبي بكر، وعلى الشيخ حمزة بن أبي سالم. واستفاد من
إجازة الخرشي والزرقاني والعجمي، له بواسطة والده
عام 1098. (277) من الآخذين عليه الشيخ عبد الله
بن حمزة بن أبي سالم.

له مشاركة أدبية، وشعره مبثوث في كتابه، في رثاء
والده (المتوفى 1122)، وشيخه حمزة ابن أبي سالم
(المتوفى 1130)، وفي مراجعاته معه الأديب محمد بن
حمزة، (278) من مؤلفاته:

الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت
عياش، (279)

270) ولم يشر إليه في الإحياء / وهو مخ خ ع بالرباط
: ك 304 في 401 صفحة.

271) نقل عنه في الإحياء: 63ب / 83أ / وذكر في
هامش: 48ب ما نصه: وذلك لم أره عندنا، وراجع عن
الكتاب: دليل بنسوده 178/1 حيث يذكر أن منه
نسخة بالخرزانة الفاسية.

272) راجع الإحياء 107أ – 120ب.

273) ترجمته في الإحياء: 145أ – 150أ.

274) أورد نصه الكامل في الإحياء: 5ب.

275) الإحياء 145أ.

276) تلتقط ترجمته ؤ وأخباره من ثنايا كتابه
الإحياء ولانتعاش - فهرس المخطوطات العربية
بمخزاة الرباط / جزء 2 / قسم 2 / 221 - المصادر
للمنوتي 163/1 - دليل بنسوده 29/1 - وقد توفي
المؤلف قبل أن ينهي كتابه المذكور. وآخر تاريخ يرد
ذكلاه في الكتاب هو 1135، مما يدل أنه لم يعيش
طويلا بعد هذا التاريخ. ويرد في ورقة 174 ب من
النسخة الحمزاوية ما نصه: " هذا ما وجد في بيضة
المؤلف... توفي قبل أن يتم مقصوده... " أما ما يذكر من
تاريخ 1169 كتاريخ لوفاته، فهو تاريخ وفاة عبد الله
بن عمر بن محمد بن أبي بكر. وهو ابن عم المؤلف وقد
وردت وفاته في تقييد بخط أخيه عبد الوهاب بن عمر
بن محمد، في طالعة الورقة الأولى من نسخة الإحياء
بالمخزاة الحمزاوية.

277) الإجازات وارده بنصها في الإحياء 166 أ وما

بعدها

278) راجع نصوص هذه الأشعار في الإحياء: 102 ب،
110 أ، 171 ب.

279) من الكتاب نسخة الخزانة الحمزاوية ومصورة
بخع بالرباط؛ د 1433.

10) محمد بن أحمد بن أبي بكر العياشي (280) (كان
حيا 1144)؛

نشأ بالزاوية وقرأ على شيوخها، ورحل إلى المشرق عدة
مرات، وكانت وفاته في رحلته الثالثة بطرابلس. من
مؤلفاته؛ (281)

-اختصار المعيار.

-حاشية على البيضاوي.

كناش ادبي، فيه قصائد وفوائد، وقد قرظه ابن
عمه عمر بن عبد الكريم (ت: 1122) وصفه بأن
"فيه من غرر القصائد ودرر الفوائد، وملح الرسائل،
التي لا تكاد توجد للأوائل". (282)

- له أدب كثير أورد منه - في تمة الإحياء يخاطب
شيوخه - شعرا.

11) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العياشي
(ت: 1153)؛ (283)

نشأ بالزاوية وقرأ على شيوخها، مثل الشيخ حمزة،
وعمر بن محمد بن أبي بكر، ومن عاصرها من علماء
الزاوية. وأخذ بدرعة على أبي العباس بن ناصر، ثم
نزل فاس فأخذ عن محمد بن عبد القادر الفاسي،
وولده الطيب.

رحل إلى المشرق وأخذ عن شيوخه واشتغل في الزاوية
بالتدريس، فدرس النحو والحديث. له مؤلفات، منها:
رحلة حجازية. (284)

شرح حزب الفلاح، أسماء: المصباح على حزب
الفلاح.

شرح على شواهد المكودي. (285)

حاشية على البخاري. (286)

الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية. (287)

له منظومات في قضايا نحوية ولغوية متعددة.

له أدب، وصفة في تنمة الإحياء بقوله: " آية

الإعجاز، في الصدور والإعجاز، الذي طبع العراق

وصنعة الحجاز ... وإن نظم أو نثر، تتبع البلاغاء ذلك

الأثر... ". (288)

12) عبد الله بن محمد بن حمزة (ت: 1154) :
(289)

نشأ بالزاوية، وأخذ عن شيوخها كوالده الأديب محمد بن حمزة، وعمه عبد الله بن حمزة، وأحمد الحبيب السجلماسي وغيرهم.

واهتم منذ يفاعته بالتأليف والكتابة الأدبية، غير أن الموت لم يمهل، فاعتبط شاباً وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره.

ترك مجموعة من المؤلفات، أكثرها لم يكمل، منها:
(290)

280) ترجمته في تنمة الإحياء 179أ.

281) تنمة الإحياء 179أ. ولم يذكر المؤلف إلا ما رآه من مؤلفاته بخزانتهم.

282) الإحياء 173أ - ومن حاشيته على البيضاوي نسخة مخطوطة الخزانة الحمزاوية رقم 481 في مجلد ضخيم غير تام.

283) ترجمته في: تنمة الإحياء 175أ - هدية
العارفين 558/5 - شجرة النور 336 - فهرس
مخطوطات القرويين 220/4 - فهرس الخزانة
الصبيحية بسلا: 89.

284) عليها في تنمة الإحياء 1175ب بقوله: " ولكن
عندنا لم يبق إلا اسمها. فالله يجمع بيني وبينها
حيثما كانت".

285) منه عدة نسخ مخطوطة. منه مخ القرويين رقم
1516 أول مجموع - ومخ خ ع: د 2456.

286) في الخزانة الصبيحية نسخة منه سماها: غنية
البدوي وعجالة القروي على ما في البخاري من الأثر
النبوي / رقم 67 - ومنه مخ خ ع: د 818 بخط
المؤلف - ومخ خ ع: ك 1929 ضمن مجموع.

287) ذكره في شجرة النور 336 - وفي هدية
العارقية 558/5. وأضاف بأنه مطبوع في مجلد.

288) راجع تنمة الإحياء 175أ

289) ترجمته في تنمة الإحياء 191أ - وفي ديوان

أحمد بن عبد العزيز الهلالي ذكر للرجل وعرض

لبعض أخباره / راجع ديوان الهلالي مخ خ ح 158.

290) هي اللائحة التي ذكرها في الإحياء: 191أ

مؤكدًا على أنه لم يذكر منها إلا ما رآه فقط.

-قصيدة على الربع المقنطر.

-تأليف في التنجيم سماه: ترجمات القلب الخاشع

على سمت المحراب البارع.

-الوصايا النافعة والزواج القائمة.

شرح على لامية الزقاق

شرح على الجمل.

شرح على الشواهد.

-تأليف في صناعة الحساب.

وله أدب كثير، ويحتفظ في تنمة الإحياء بنصوص

شعرية كتبها بخطه. (291)

13) عبد الله بن حمزة بن أبي سالم العياشي (292)

(ت: 1163):

وهو الشخصية الثانية بين أحفاد أبي سالم من حيث الأهمية والأدبية، نشأ بالزاوية فجلس إلى مشايخها، فاستفاد من والده الشيخ حمزة، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العياشي، وعبد الله ابن عبد الكريم، مؤلف الإحياء، وغيرهم. وترك أدبا كثيرا ومؤلفات عديدة منها:

(293)

- تفسير القرآن الكريم. (294)

شرح البخاري.

شرح على المختصر الخليلي.

شرح على الرسالة.

شرح على الألفية.

شرح على الجرومية.

شرح على لامية الزقاق، سماه: غنية العاجز المشتاق

في شرح لامية الزقاق. (295).

شرح على الدادسية هي نظم اليواقيت في علم

المواقيت، لعلي الدادسي.

قصيدة في التوحيد قرابة 400 بيت.

إعلام العالم، بأن المحراب لأبي سالم. ويتعلق
بمحراب بلده. (296)

وله شعر كثير أورد منه في تنمة الإحياء، قصيدته
في التضرع إلى الله بأسمائه الحسنى في دفع وباء
الطاعون عام 1154. وقد سماه: تضرع الحزين
الملهوف لمولاه العفو الرؤوف. (297)

291) راجع تنمة الإحياء 193 أ وما بعدها.
292) ترجمته تنمة الإحياء 182 أ- وقيدت وفاته
عام 1163 على ظهر الورقة الأولى من نسخة كتاب
الإحياء الحمزاوية / وراجع أيضا: أبو سالم شاعرا:
65.

293) تنمة الإحياء 182 أ، ويذكر منها ما رآه في
خزانتهم فقط.

294) منه مخ خ الحمزاوية رقم 478 أول مجموع
بخط المؤلف.

295) كتب عليه كل من أبي مدين الفاسي، وأحمد بن
عبد العزيز الهلالي تقريظا - والتقريظان معا في تنمة
الإحياء: 182ب - وكذلك قرظة عبد الله بن محمد
بن حمزة (راجع تنمة الإحياء 195أ)، وعبد الرحمن
بن محمد بن حمزة (راجع تنمة الإحياء: 183ب).

296) هو من الكتب المهمة التي جرى فيها الحديث عن
الزاوية ورجالها / وقد حظي الكتاب بتقريظ أحمد بن
عبد العزيز الهلالي: (راجع تنمة الإحياء 184أ)،
والكتاب ما يزال مخطوطا بالخرانة الحمزاوية تحت
رقم 157.

297) راجع تنمة الإحياء 184ب

- القسم الثالث -

_ ثانيا: مراكز العلم والتعليم في الحاضرة:

- التعريف والعرض:

إذا كانت البادية بمراكزها العلمية الكثيرة، وزواياها المتعددة الشهيرة، قد برزت على ساحة مغرب القرن الحادي عشر، وما يليه، لتعلن عن شعبية مجالس التعليم وانتشاره، ولتشارك بفاعليتها في نشاط العمل العلمي والأدبي، ولتساهم في صنع معالم الحركة الأدبية التي عرفها المغرب في هذا العصر، فإن الحاضرة من جهتها قد عرفت حركة واسعة من العمل العلمي والتعليمي، قامت به كل مراكزها العلمية المختلفة لتسجل استمرارية الوجود العلمي في حلقات شيوخها، وتسانيف رجالها، فشهدت المراكز القديمة نمواً في نشاطها، واتساعاً في دروسها، ومجالسها، وتعدداً في حلقات شيوخها، وكثرة في أعداد الطلبة بها، والوافدين إليها من مختلف جهات المغرب، لينشأ عن كل هذا حرك واسعة في العلم والتعليم، ولتنتهي معها الأجواء الملائمة لتوفير ظروف اختلاف مستوياتهم في العلم، وقدراتهم في الاستفادة والتلقي، وتفاوت إمكاناتهم المادية، و تباين طبقاتهم التي ينتمون إليها.

ولا شك أن هذا سيكون حافزا على تجديد مراكز العلم
مرة أخرى، وتكثيف أعمال رجالها في الدرس والتأليف،
بل وفي المشاركة الأدبية أيضا. فتنجز الأعمال العلمية
والأدبية الكثيرة، وفي مختلف العلوم والآداب. وتحرر
النصوص الشعرية والنثرية، لتنتج لنا مجموعة من
التصانيف أولا، ومجموعة من أسماء الأدباء الذين
ارتبطت بهم حركة الأدب في هذه الفترة ثانيا.
ومع هذه المراكز العلمية القديمة التي تجدد نشاطها
العلمي والأدبي، تحركت بعض الحواضر الناجمة،
واستأثرت باستحداث نشاط علمي مع بعض شيوخها،
واقامة حلقات تعليمية بها، تجري على غرار سابقتها
من الحواضر العلمية القديمة، مما هيا الأمر في هذه
الحواضر لولادة مراكز تعليمية أخرى تتسع بها رقعة
الدرس، وتتكثف معها علمية التكوين لتهيج الحوافز
عند من له الرغبة والاستعداد في طلب العلم، ولتحرك
همم الطلبة إلى الدرس والاستفادة، فيكثر بذلك
المتخرجون من أصحاب العلم، وينجم من بينهم الأدباء
الذين تولدت عندهم حوافز القول الأدبي، ودوافع

الكتابة والتأليف، وتيسرت لهم سبل إجراء الأساليب
والتعابير الأدبية، وإجاده صياغتها، فانتعشت عملية
←

الخلق الأدبي على يديهم، واكتملت لديهم عوامل
التصرف بالأدب وصياغة مواده، لينتجوا الآداب
الكثيرة في الشعر والنثر والرحلات والتأليف الأدبي
بمختلف أوضاعه، ولينتجوا في علوم الأدب أصنافا من
صنائع التصنيف في النقد والبلاغة واللغة والنحو
والعروض وغيرها.

وقد هيا هذا جانبا من صورة الحركة الأدبية التي
امتزجت مع بقية جوانب الحركة الأدبية الأخرى،
التي عرفتها بقية المراكز العلمية البادية والحاضرة،
لتصنع بمزيجها العلامة النشيطة المميّزة للعمل في
المغرب عند أدباء العصر الإسماعيلي ولتكمل بها
الصورة الكبرى لحركة الأدب ونشاطه بالمغرب على هذا
العهد.

والملاحظ أنه إذا كانت البادية قد شهدت كثرة هذه
المراكز وتعددتها بحيث أصبحت كل منطقة في المغرب

تعيش على مجموعة من هذه المراكز التي استحدثتها
الزويا، أو بعض الشيوخ المشتهرين بالعلم، ممن
اضطرتهم ظروف الإقامة بالبادية، فخلق حولهم
الطلبة لتنشأ بذلك بعض مراكز العلم - فإن مصير هذا
العمل بالحواضر كان شبيهاً بذلك، إذ تعددت هذه
المراكز وتكاثرت، بحيث أصبحت جل الحواضر المعروفة
آنذاك، تعيش حركة من النشاط العلمي تستمد تارة
من المراكز الحضرية الكبرى الشهيرة في العلم، حين يفتد
إليها بعض الشيوخ الكبار للإقامة بها، وعقد مجالس
العلم في حلقاتها، كما هو الشأن مع حاضرة وزان، حين
نزل بها الشيخ محمد المشاط فرارا من فتنة الحراطين،
و كما هو الشأن مع الشيخ الهاشمي اشكلانطو الرباطي
حين إقامته بأسفي.

أو تقيمه من ذاتها مع أبنائها الذين استفادوا العلم في
المراطر الكبرى، فجلسوا بحواضرهم يقيمون حلقاتهم
العلمية، أو يحركون حوافز العلم بحواضرهم يقيمون
حلقاتهم العلمية، أو يحركون حوافز العلم ودوافع
التأليف فيه، فيكتبون المصنفات في العلوم المختلفة،

وينتجون الأعمال الأدبية من قصائد الشعر وأصناف
النثر.

كما هو الشأن في حاضرة شفشاون، وقد قام بها نشاط
علمي وتأليفي مع أبنائها من أسرة العلميين.

وكما هو الشأن في حاضرة تازة مع الشيخ محمد بن
عبد الرحمن الصيني (ت: 1115)، وقد كان مقصد
الرحلة من غير طلبة بلده أيضا، فاستفاد منه دراية
ورواية بعض مشاهير الطلبة على عهده، ومع الشيخ
عبد القادر الصيني التازي أيضا (ت: 1149)، وكان له
حضور متميز في درس العلم بتازة.

وكما هو الشأن في حاضرة القصر الكبير، وقد استمر
بها النشاط العلمي والتأليفي مع بقية أبناء الفاسي
الفهري الذين ظلوا بها، ومع عدد من علماء أسرة
السريفي من أبناء حمو الشاوي وغيرهم.

وكما هو الشأن في غيرها من الحواضر الصغرى آنذاك.
وإذا كان المجال الآن لا يسمح بتقصي أعمال كل المراكز
الحضرية الكبيرة أو الصغيرة، لأسباب متعددة، - فإننا
في سبيل رصد أنشطة بعض هذه المراكز، وما كان لها من

تأثير في تكوين الحركة الأدبية في مغرب المولى
إسماعيل - نقتصر في هذا العرض على ذكر أشهر هذه
المراكز العلمية في الحضر، مما كان لها تأثير أكبر
وأوسع في نشاط الدرس والتأليف، وتخرج أفواج
الطلبة والعلماء، وتحريك إنتاج العلم والأدب بالكتابة
والتصنيف فيهما، مما يجعلنا نتعرف على جانب من
المكونات الأساسية لحركة الأدب في هذا العصر
الإسماعيلي - وهي معرفة ضرورية وسابقة - قبل أن
نبدأ في عرض مواد هذا الباب ومظاهره في الأبواب
اللاحقة من هذا البحث.

وفيما يلي ذكر لأشهر هذه المراكز العلمية في الحاضر
على هذا العصر:

(ب) أشهر المراكز في الحاضرة:

الأول: مركز فاس:

أما في فاس فقد تهيأت مجموعة من العوامل لیتسع
مجال الدرس، وتكثر حلقاته، وينشط الشيوخ في
التدريس والتأليف، فتتجدد بها تلك الصورة النشيطة
التي كانت لجالسها العلمية على عهد بني مرين،

وتنبعث بها حركة العلم قوية لتسترجع فاس معها من



جديد زعامتها العلمية، فتصبح مقصد مختلف الطلاب من جميع نواحي المغرب، ومن المراكز الأخرى، لتكون مجالس فاس آخر المجالس التي يستكمل الطالب فيها مرحلة الطلب والتلقي، فيكون بمثابة مرحلة الدراسات العليا، يتم بها التخرج، ويتحقق معها الإشهاد باكمال هذا الطلب في العلم، وتحصيل مواده، وذلك بالإجازة له في الرواية والتحمل، والإعطاء له حق التصدر للتعليم والتأليف والإفادة.

من هذه العوامل:

1) نزول عدد كبير من شيوخ الدلاء بفاس عقب تخريب زاويتهم، وممارستهم النشاط العلمي الذي كان لهم في زاوية الدلاء، وقد تحركت معهم مجالس العلم، واتسع نشاطها، ليزدهر بها درس اللغة والأدب(1).
فقد كانت المجالس التعليمية التي أدارها كل من أبي علي اليوسي، ومحمد المرابط، ومحمد الشاذلي، وبعدهم

محمد بن أحمد المسناوي، ومحمد بن أحمد الشاذلي، وغيرهم، خاصة بالطلبة الراغبين في الاستفادة، يدار فيها درس العلوم المختلفة، وبخاصة ما كان له ارتباط بالأدب واللغة والبلاغة، ويقصدها الطلاب من مختلف المستويات لتكون حلقات هؤلاء الدلائيين أشهر الحلقات التي تخرج منها كبار علماء الأدب واللغة في عصر المولى إسماعيل، مثل ابن زاكور، وابن الطيب العلمي، وابن الطيب الشركي وغيرهم.

وقد كانت مساهمة علماء الدلاء بفاس في مجال نشر العلم، والمشاركة فيه درسا وتأليفا - وفي ممارسة الأدب وتوجيه العمل إليه إبداعا وتأليفا - أمرا فائق التقدير، لأنه كان علامة حقيقية ومباشرة لاتساع النشاط العلمي أولا، ولخلق ظروف في ضمن حركة الأدب وممارسته وإنتاج مواده ثانيا.

وما تزال الكثير من الأعمال العلمية والأدبية التي أنتجها شيوخ الدلاء المقيمون بفاس قائمة بين أيدينا، وما تزال أصداء تحمل شهادة تصديق هذا العمل وتأكيده.

وما تزال أيضا أصداء درس العلم ومزاولته عند هذه
الطائفة بفاس تتوزعها أخبار وتراجم هؤلاء الدلائيين
في الفهارس، وكتب التراجم، ومختلف تصانيف العلم.
وهكذا اشتهرت مجالس كل من:

- محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائي (2)
(ت: 1088)..

وكان قد تصدر من "قبل بزوايتهم للإقراء وتدریس
العلم، ثم نزل فاس، وأكب على الإقراء والتدریس،
وانتفع به خلق كثير وجم عقير" (3).

- محمد المرابط الدلائي (4) (ت: 1089):
وقد نزل بفاس بعد خراب زاويتهم، فتابع بها درسه في
الأدب واللغة.

- محمد بن بن محمد المرابط الدلائي (5)
(ت: 1099):

نزل فاس واشتهر بالعلم والتقوى. وقد وصفه في البدور
بأنه كان "فقيها عالما مدرسا عاملا خيرا... أحد
الفضلاء في عصره تفسيرا وحديثا... ونقل اللغة".
- محمد بن أبي عمر الدلائي (ت: 1099):

وهو ممن برز بالعلم والدرس في زاويتهم، ثم استوطن
فاس، "وطابت بنزوله بها الأنفاس، فبرز في فنون
المعقول المنقول، وجاء فيها بما يبهر العقول، فأخذت
عنه الأكابر، وافتخرت به ذوو الأقلام والمحابر، ونفع
وانتفع" (6). ←

- 1- راجع عن نشاط الدلائيين بفاس: "كتاب الزاوية
الدلائية" للدكتور حجي: 240 وما بعدها.
 - 2- ترجمته في "البدور الضاوية": 502- النشر
223/2 - التقاط الدرر 200- السلوة 8/2.
 - 3- البدور الضاوية: 505.
 - 4- ترجمته في: البدور الضاوية: 269.
 - 5- البدور الضاوية: 446.
 - 6- راجع البدور الضاوية: 465.
- محمد الشاذلي (7) (ت: 1103):

ذكر عنه أنه أقرأ ألفية ابن مالك مائة مرة، ومقامات
الحريري ثلاثين ختمة (8)، فكان أعجوبة الزمان في
الحفظ والإتقان والغوص على المعاني... " ويحفظ
الكثير من حكم العرب وأمثالها ووقائعها وأيامها، ويجيد
الشعر" (9) .

- أحمد بن محمد الشاذلي (10) (ت: 1106)؛
وهو ممن نزل فاس بعد الحادثة على الزاوية الدلائية،
واستوطنها، "وأقبل على تدريس العلوم، وإيضاح
المنطوق منها والمفهوم، وكان فصيح اللسان في الإنشاء
والنظم" (10) .

- محمد بن محمد الشاذلي (11) (ت: 1107)؛
تولى التدريس فاستفاد منه غير واحد من أهل فاس،
والوافدين عليها، وكان "آية من آيات الله في علم
البلاغة والأدب، وله القلم الأعلى في الإنشاء
والترسيل" (11) .

- أحمد بن المسناوي (12) (ت: 1117)؛
ذكر في "البدور الضاوية" أنه "استقر بفاس، وأقبل على
تدريس العلوم، وإيضاح المنطوق منها والمفهوم، وكان

الغالب عليه الفرا من الظهور، وعدم مخالطة الجمهور" (13).

- محمد بن أحمد المسناوي (14) (ت: 1136)؛
شيخ شيوخ فاس. "تلمذ له جميع أهل عصره، وانفرد
برئاسة التدريس والعلم في وقته ومصره"، (15) وهو
آية في العلوم كلها، "لا ينقر المسائل إلا في سواد عيونها،
وقد أعطي ملكة التدريس والفتيا، وسلم له أعيان
عصره في مراتبها العليا" (15).

- محمد بن أحمد بن الشاذلي (16) (ت: 1137)؛
وهو ممن ولد بعد خراب الزاوية، وتصدر للدرس
اللغوي والأدبي، فأخذ عنه أجيال الطلبة من أهل فاس
وغيرها، وكان عالما بفضنون الأدب من نحو، وبيان،
ومعان، وتصريف، وعروض، وقواف، وأيام العرب،
حافظا لكلامهم، له التقديم في ذلك على جميع أهل
عصره" (17).

- محمد البكري بن محمد بن الشاذلي (18) (ت: 1164)؛

هو ممن ولد بفاس ودرس بها، واشتغل بالتدريس في حلقاتها، فاقراً بالقرويين، وبمسجد الشرفاء، الحديث والفقہ والأدب. واشتهر بالأدب، فألف فيه، ←

7- ترجمته في: البدور الضاوية: 265 - النشر

58/3 - التقاط الدرر 263 - السلوة 96/2.

8- التقاط الدرر: 263.

9- النشر 58/3.

10- البدور الضاوية: 474.

11- البدور الضاوية 467 / وراجع ترجمته في: النشر

74/3 - التقاط الدرر 26 - البدور الضاوية: 467 -

السلوة 89/2.

12- ترجمته في البدور الضاوية: 371.

13- راجع البدور الضاوية: 372.

- 14- ترجمته في البدور الضاوية: 172 - الأنيس المطرب 305 - السلوة 44/3 - الحياة الأدبية للاخضر: 196 - فهارس علماء المغرب 746/3 والمراجع المذكورة.
- 15- راجع النشر 265/3.
- 16- ترجمته في البدور الضاوية: 475 - النشر 281/3 - السلوة 47/3 - الزهر الباسم: 50 مخ ح 685 - فهرسة ادريس المنجرة: 75 ب- الزاوية الدلائية لحجي: 242.
- 17- النشر: 281/3.
- 18- ترجمته في البدور الضاوية: 484 - النشر 89/4 - التقاط الدرر: 422 - السلوة 50/3.

واشتهر بالفتوى في النوازل الشرعية، فكتب الكثير منها.

(2) تنشيط بعض الكراسي العلمية بفاس، واستحداث كراسي أخرى لتدريس الحديث، والتفسير، واللغة (19)، وقد تعاقب على التدريس بها مجموعة من العلماء،

مثل احمد بن الحاج 1109 الذي مارس التدريس بها
في الحديث الذي استحدث في هذا العصر، ليساهم في
تنظيم درس الحديث بجانب بقية كراسي الحديث
الأخرى بجامع القرويين(20).

والميزة الواضحة في نشاط هذه الكراسي العلمية -
التي تستحدث مع تمويلها الوقفي، وتقوم بتأكيد درس
مصنف معين، أو على مخصص بهذه الطريقة أو تلك
- هو أنها لم تعد تقتصر على القرويين، ومجالسه
فقط، إذ اتسعت هذه الكراسي لتشمل مختلف الجوامع
الواقعة بفاس، بما فيها المساجد الصغار(21).
فقد شهد جامع الأشراف بفاس حركة في الدرس
كبيرة، لا تقل في بعض الأحيان عما كانت تعرفه جامع
القرويين، وجامع الأندلس، وساهم فيها مجموعة من
علماء فاس في هذه الفترة؛ وقد زكى حركة الدرس
هاته وجود الكراسي العلمية المخصصة لدرس الحديث
والفقه والتفسير، وأصناف العلوم الأخرى(22).
وهكذا كانت الكراسي العلمية القائمة بمساجد فاس
وجوامعها عاملا كبيرا في توسيع عملية الدرس،

وتحريك حلقاته، لتكون - رغم اختلاف مستوياتها العلمية - في متناول الراغبين في العلم، من طلبة وشيوخ، ولتؤجج في نفوسهم الشوق إلى الطلب والرغبة في استكمال التكوين؛ كما حدث للشيخ عبد الرحمن بن زكري الذي بدأ مرحلة الطلب، وهو كبير السن، فكان عالم عصره بعد ذلك.

وقد كان مجال هذه الكراسي فاعلا في حركة العلم أولا، وفي حركة النشاط الأدبي ثانيا.

(3) ومع هذه الكراسي التعليمية، فقد عرفت فاس حشدا وافرا من العلماء الذين تعاطوا تدريس العلم وممارسة حلقاته التعليمي، ليكونوا مقصد طلاب العلم من فاس وغيرها، من مختلف أنحاء المغرب، وبخاصة من الراغبين في الاستكمال العلمي بالجلوس إلى شيوخ متميزين في العلم، وإتقانه، ومعالجة مواده، فتتميز حلقاتهم التعليمية هذه بما يثار فيها من أصناف العلم، وما يجري به من مادة لاستظهاره واستحضاره، و ما يقوم عليه هذا الشيخ أو ذاك من اتباع طريقة معينة في التدريس.

وقد ساعد هذا على أن يصبح مركز فاس هدفا لكل
راغب في العلم، من المبتدئ والمنتهي، ليكتسب العلم
والمهارة في معالجته، والإتقان في صنعة تدريسه من
شيوخه.

وهكذا ضمت فاس - على عهد المولى إسماعيل - نخبة
متميزة من العلماء ممن امتلكت العلم في مستوياته
الرفيعة، فأخلصت له درسا وتأليفا. وأصبح لديها - بما
تيسر من فهم وإدراك واتساع أفق ومثابرة عمل - من
قبيل التخصص فيه. فكان التخرج في هذه العلوم إنما
يتم على يدها، وتحت إشرافها، وبإذنها في الإجازة أو
السماح لطلبتها بالإذن لها بممارسة العلم، دراية
ورواية، وممارسته تدريسا أو تأليفا أو خطة، والإشهاد
على ذلك بالاستحقاق.

ولذلك كانت حلقات هؤلاء الشيوخ: محمد بن عبد
القادر الفاسي (ت: 1116)، ومحمد بن زاكور
(ت: 1120)، ومحمد المسناوي (ت: 1136)، ومحمد بن
أحمد الشاذلي (ت: 1137)، والحسن بن رحال
المعداني ←

19- راجع كراسي الأساتذة بجامعة القرويين
للمنوني: 91 / الحلقة الثانية / دعوة الحق / عدد: 5 /
سنة: 9.

20- كراسي الأساتذة للمنوني: 93.

21- كراسي الأساتذة للمنوني: 95.

22- كراسي الأساتذة للمنوني: 94.

(ت: 1140)، ومحمد بن حمدون بناني (ت: 1140)،
ومحمد بن عبد الرحمن بن زكري (ت: 1144)، وأحمد
بن مبارك اللمطي (23) (ت: 1156)، ومحمد بن عبد
السلام بناني (ت: 1136)، وغيرها من الحلقات
الأخرى - نهاية في التخصص العلمي، لانضباط مادة
العلم التي يقدمها الشيخ، وإتقانه لها، وقيامه عليها،
سواء كانت حديثا أو فقها، أو أصولا، أو لغة، أو أدبا، أو
بلاغة، أو غيرها من مواد العلم.

وأكثر أسماء هؤلاء الشيوخ هي التي ارتبط بها العمل
التأليفي في مجال العلوم المتداولة آنذاك، من حديث، أو
فقه، أو نحو، أو لغة، أو أدب، أو غيرها.

ومع هذا التمييز في مركز فاس بحضور النخبة
المتخصصة في العلم به، كذلك تميزت حلقات شيوخه
بالإتساع العلمي، والتنوع في موادها، فاشتهرت في ذلك
حلقات: الحديث، والتفسير، والفقه، والأصول، والأدب،
وغيرها من مواد العلم، يقوم على إنجازها أشهر علماء
فاس ممن قدمنا ذكرهم، فيجري فيها درس مواد هذه
العلوم في مستوياتها المختلفة، لتلائم رغبة المبتدئ
والمنتهي، وبالاعتماد على أشهر المصنفات التي عرفتها
الثقافة الإسلامية والعربية في هذه العلوم.
وتميزت بينها حلقات درس الأدب وعلومه، من لغة
ونحو وبلاغة وعروض.

وقد قدمنا في السابق عند الحديث عن درس الأدب ما
يكشف عن أهمية حلقة الأدب وعلومه في التكوين،
وبخاصة مع علماء فاس، لتكون علامة على ازدهار
النشاط العلمي في هذا المركز، وليتبين الأثر الذي

أحدثه هذا الدرس في تنشيط حركة الأدب بتخريج الأدباء الممارسين له إبداعاً وتأليفاً، وتهيئ الظروف المناسبة لإنتاج القول الأدبي أو التأليف في مواده. ومما زاد من نشاط حلقات هذا المركز في العلم والتعليم، تميز العديد من العلماء الذين مارسوا التدريس، بالإتقان لصنعتهم، والتفنن في طريقتهم، وحسن التصرف فيها، بحيث تصبح حلقاتهم مثار إعجاب للحاضرين من الطلبة، وغيرهم من الشيوخ، فيجتمع لديهم في هذه الحلقات من هدوء الدرس، وعمق التقرير، وسلامة التعبير، واتساع أفق العرض، بما تكون به عملية الإقراء عجيبة تثير الدهشة، وتشد إليها الأنفاس، كما هو الأمر في حلقات درس محمد بن أحمد المسناوي، وأحمد الوجاري وغيرهما.

4) وتميز مركز فاس أيضاً في نشاطه العلمي، بما تهيأ له من الظروف المواتية التي أحدثها وجود الزاوية الفاسية بمدينة فاس، وما مثله رجالها - لكثرتهم وكثرة أتباعهم - من علم وأدب، وما مارسوه من تدريس وتعليم، وما أنتجوه من كتابة وتأليف.

فقد عايشت الزاوية أحداثا خاصة على عهد المولى
إسماعيل، شهدت فيها قيام فرعين اثنين للزاوية
المذكوة بفاس.

كلاهما كان له من التأثير الروحي والعلمي على مجتمع
فاس أولا، والمجتمع المغربي ثانيا.
وكان لهما من المباشرة الثقافية ما صعد منها في مجالها
الصوفي والعلمي والأدبي، لتكون فاس بذلك مركزا مهما
من مراكز حركة العلم والأدب على عهد المولى
إسماعيل.

وكان لكل من هذين الفرعين أشياخ وأتباع وأعمال
تأليفية خاصة بها، تناصر هذا الفرع وذاك.
❖ الفرع الأول: وتمثله زاوية القلقلين بفاس، وهي
زاوية كان قد أنشأها من قبل الشيخ عبد الرحمن ←

23- ترجمته في: فهرسته: كلها / مخ خ ع: ج 101 او
ل مجموع - رحلة ابن حمادوش الجزائري: 83-90-

إجازة محمد لمناوي له: (كلها) مخ خ ح: 5812 -
فهرسة عبد المجيد الزبادي: 285 كخ خ ع: ك 1362
ضمن مجموع - فهرست أحمد الورزازي: 242 مخ خ
ح: 13003 ضمن كناشة الحضيكي - فهرسة ادريس
العراقي: 3 - فهرسة التاودي بنسوده: 3 - الروضة
المقصوده: 132 - النشر 4/40 - التقاط الدر: 393
- السلوه: 2/203 - الحياه الادبية للأخضر: 237
والمراجع المذكوره - فهارس علماء المغرب 3/750
والمراجع المذكوره.

الفاسي العارف (ت: 1036)، وفي هذا الفرع، فإن
مشيخة الزاوية الفاسية وزعامتها الروحية، قد رست
عند عبد القادر الفاسي، ورثها من سلفه محمد بن معن
الأندلسي (ت: 1062)، والذي كان من جهته قد ورث
سر المشيخة من عبد الرحمن الفاسي العارف
(ت: 1036).
ولذلك كان الشيخ عبد القادر الفاسي (ت: 1091) يمثل
في هذا الفرع استمرارية الزاوية الفاسية، وقد وظف

ولده الشيخ عبد الرحمن تأليفه في المناقب لخدمة هذا
الهدف، فألف كتابا مناقبيا :

خص بالأول منها، وهو "ابتهاج القلوب..."(24) اصول
الطريقة الفاسية، والتعريف بشيخها الأولين، وهما
عبد الرحمن المجدوب، وأبو المحاسن الفاسي
(ت:1013).

ثم خص الثاني منها، وهو "أزهار البستان"(25) ليعرف
فيه بالشيخ العارف الفاسي الذي ورث سر مشيخة
الزاوية الفاسية من أخيه السابق أي المحاسن.

ثم خص الثالث منها، وهو "عوارف المنة"(26) ليعرف
فيه بالشيخ محمد بن معن (ت:1062)، الذي انتقل
إليه سر وراثة الطريقة الفاسية من شيخه العارف
الفاسي، والذي بنى زاويته الجديدة في حي المخفية.

ثم خص الرابع منها، وهو "تحفة الأكابر"(27) ليعرف
فيه بالشيخ عبد القادر الفاسي، باعتباره الشيخ الذي
ورث أسرار الشيوخ السابقين، وباعتباره شيخ الطريقة
الفاسية التي انتهت إليه أسرارها وورث مشيختها.

هذا في وقت كان لزاوية المخفية تصور آخر يعتبر أن
وراثة الشيخ محمد بن معن إنما استمرت في زاويته
المخفية، وعند بعض أتباعه، وهو الشيخ قاسم
الخصاصي(28) (ت:1083)، لتنتقل المشيخة فيما بعد
إلى الشيخ احمد بن معن (ت:1120).
وقد كان لجانب الصراع الذي تولد بين الفرعين
المذكورين، أثر كبير في تصعيد العملية التأليفية
والشعرية، وبخاصة منها ما يرتبط بمدح هذا الشيخ أو
ذاك، وتمجيد مواقفه والتنويه به، أو بكتابة مناقب
شيوخ الزاوية الفاسية عامة، وشيوخ الزاوية في هذا
الفرع أو ذاك خاصة، لمناصرته وإقرار شرعية
مشيخته، وصدق وراثته لسر الأشياخ قبله.
وقد ظلت زاوية القلقليين بفاس قائمة مع أبناء عبد
القادر الفاسي وأحفاده، وظل وجودها يناصره
مجموعة من تلامذة الشيخ عبد القادر الفاسي، وبعض
الأتباع؛ إلا أن بقية حفدة أبي المحاسن الفاسي قد
ناصروا الفرع الآخر في المخفية، مع احمد بن معن،

واعتبروه الوارث الحقيقي لمشيخة الزاوية،

وطريقتها. ←

24- اسم الكتاب كاملا هو: ابتهاج القلوب بخير الشيخ

أبي المحاسن وشيخه المجدوب / وهو كتاب في أكثر من

400 صفحة حسب نسخة خ ح: 1222 / وهي

النسخة المعتمدة في هذا البحث / فتشغل ترجمة عبد

الرحمن المجدوب من أول الكتاب إلى صفحة 98 /

بينما يبدأ الباب الثاني الخاص بترجمة أبي المحاسن

من ص: 99 ليأخذ بقية صفحات الكتاب - من الكتاب

عدة نسخ مخطوطة في الخزائن المغربية / منها مخ خ

داود بتطوان رقم: 68.

25- واسم الكتاب كاملا هو: أزهار البستان في مناقب

أبي محمد عبد الرحمن / منه مخ خ ع بتطوان رقم

514 ضمن مجموع / وهي النسخة المعتمدة في هذا

البحث.

26- اسم الكتاب كاملا : عوارف المنة في التعريف بأبي عبد الله معن محيي السنة / منه مخ خ ع بتطوان رقم 514 ثالث مجموع / وهي النسخة المعتمدة في هذا البحث - تنظر ترجمة محمد بن معن في: عوارف المنة: كله - ممتع الأسماع 167 - الروض لابن عيشون: 55 مصورة خاصة - المقصد الأحمد: 8/1 - تحفة الطالب للوزير 187/2 خ خ ع: ق 81 - النشر 2 / 55.

27- اسم الكتاب كاملا هو: تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر / منه مخ خ ع بتطوان رقم 514 ضمن مجموع / وهي النسخة المعتمدة في هذا البحث.

28- أفردت ترجمته بتأليف خاص هو: الزهر الباسم في مناقب سيدي قاسم لحمد بن الطيب القادري / مخ خ ح: 685، وهي النسخة المعتمدة في هذا البحث - تنظر ترجمة الإخصاصي في: المقصد الأحمد: 2 / 266 - تحفة الطالب للوزير الغساني 2 / 200 - تحفة أهل الصديقية: 284 مصورة خاصة - الإلماع

ممن لم يذكر في ممتع الأسماء: مخ خ ع بتطوان 593-
النشر 2 / 199.

وقد بات الوجود العلمي لزاوية القلقين يفوق ما
تعرفه من وجود صوفي، سواء مع الشيخ عبد القادر
الفاصي، او مع أبنائه وأحفاده، حينما أصبحت هذه
الزاوية مقصد الطلب العلمي من مختلف جهات المغرب،
وأصبح الشيخ عبد القادر الفاسي بمجلسه التعليمي،
وموقفه الإسنادي شيخ الجيل، يتتلمذ عليه كل من
يرغب في العلم، وينتمي إليه كل من كانت له سابقة
فيه، فكتب الإجازات، وأوصل الروايات، وربط الأسانيد
لأهل المغرب وغيره من المشاركة. ولا يكاد يجري اسم
عالم ممن عاصر الجيل الأول من عصر المولى
إسماعيل، دون أن يكون له اتصال بالشيخ عبد القادر
الفاصي، بالتلمذ المباشرة، أو بالإجازة والرواية
بالمكاتبة؛ وقد أغرى هذا الموقف ولده الشيخ عبد
الرحمن الفاسي (ت: 1096) ليخص تلامذه والده

بتأليف خاص في التعريف بهم، تتميما للتعريف
بنشاط والده العلمي(29).

وقد استمر هذا الوجود العلمي لزاوية القلقليين مع
الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، ومع ولده محمد
الطيب؛ فقد أصبح الأول منهما شيخ العلم الإسنادي في
المغرب وتحولت حلقاته العلمية إلى مطمح الراغبين في
العلم من مختلف مناطق الأجيال، ومن مناطق المغرب
المختلفة، وحملوا عنه دراية ورواية، فكتب الإجازات
والروايات.

وقد توبع الحضور العلمي لهذه الزاوية مع بقية أحفاد
الشيخ عبد القادر الفاسي، فمارس التدريس بزاوية
القلقليين الشيخ محمد الطيب الفاسي (ت: 1113)،
والشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي (ت: 1134)،
والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي
(ت: 1131)، والشيخ محمد بن أحمد الفاسي
(ت: 1179)، وغيرهم.

ومع الجانب التعليمي كان لفرع الزاوية الفاسية هذا
نشاط واسع في التأليف العلمي والإنتاج الأدبي، فيبرز

في المتأبفة الأءبفة وقرض الشعر كل من عبء الرءمن بن عبء القاءر الفاسف (30) (ء: 1096)، وابف مءفن الفاسف (31) (ء: 1181)، وقاء أنءا كءفرا من الأشعار والأعمال التألففة فف الأءب.

أما فف مفءان التألف ففعرف أبناء عبء القاءر الفاسف، وأءفاه، كمفة كبفره من الأعمال التألففة فف مءءاف المءالات العلمفة والفنون الأءبفة والتارفةفة.

وهكذا كان لكل من:

1) الشفء عبء القاءر الفاسف (ء: 1091):

نشاط لا بأس به فف التألف، لأنه اسءفرء كامل ءهءه فف الأعلفم والتاءرفس، وأءب تألفه رسائل صءفره أو ءعالفء على بعض المؤلفاء، أو كءابة فف النوازل (32).

2) والشفء عبء الرءمن بن عبء القاءر الفاسف (ء: 1096):

وكان له نشاط كبفر فف التألف. بلغ ما أنءزه قرابة 175 من المؤلفاء، ءناولء مءءاف العلوم والفنون، بما ففها الأءب شعرا ونقاء (33).

3) والشفء مءمء بن عبء القاءر الفاسف (ء: 1116).

وكان له اهتمام بالتأليف بجانب ما اشتهر به من
التدريس، وأشهرها شرحه على الحصن الحصين، وشرح
شواهد ابن هشام(34). ↵

---29- هو كتاب ابتهاج البصائر فيمن قرأ على
الشيخ عبد القادر / راجع عن هذا الكتاب: صفوة من
انتشر: 182 - فهرس الفهارس 766/28 - دليل
بنسودة 175/1 - فهارس علماء 40/1.

30- يعرف لعبد الرحمن الفاسي ديوانان من الشعر:
الأول: خاص بالأمداح النبوية، وهو في حجم كبير /
منه مخ خ ح: ز 3071 - والثاني: هو مما جمعه له
ولده محمد الصغير ضمن اللؤلؤ والمرجان / ومنه المجلد
الخامس الخاص بالشعر، وهو مرتب على حروف المعجم
/ منه مخ خ ح: 597 في 249 ورقة.

31- . راجع لائحة مؤلفات أبي مدين الفاسي الأدبية
عند الاخضر في الحياة الأدبية: 291

32 - راجع لائحة تأليفه عند الاخضر في الحياة

الأدبية: 104

33 - راجع لائحة تأليفه الكاملة عند الأستاذ محمد

الفاصي في: مجلة المناهل 60 / عدد 35.

34 - راجع لائحة مصنفاته في النشر 3 / 152.

4) والشيخ محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر

الفاصي (ت: 1113):

وقد كتب مجموعة من المؤلفات في الأصل، والتاريخ،

والفهارس، وغيرها، أهمها: الفهرسة التي خص بها

والده، والتي أسماها "أسهل المقاصد"، وكتاب "مطمح

النظر"، الذي كان ينوي أن يجمع فيه تراجم رجال

القرن الحادي عشر، إلا أنه مات دون إتمامه (35).

5) والشيخ محمد بن عبد الرحمن الصغير الفاسي

(ت: 1134):

وكان له نشاط في التأليف وبخاصة الرواية منه، فكتب

فهرسته الشهيرة: "المنح البادية في الأسانيد العالية"، و

كتاب "اللؤلؤ والمرجان"، الذي جمع فيه أعمال والده الأدبية (36).

6) والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي (ت: 1131)؛

وله أعمال تأليفية، أهمها: كتاب "الاعلام... (37).

7) محمد بن أحمد الفاسي (ت: 1179)؛

وقد ألف الكثير من المصنفات، أهمها: "المورد المهني"...

وتأليف في أعيان الأعيان الذين ألفوا، ومعه أعيان

المدرسين الذين لم يؤلفوا (38).

8) أبو مدين الفاسي (ت: 1181)؛

وقد ترك مجموعة من التأليف في مختلف العلوم

والفنون، أشهرها في الأدب: "مجموع الطرف" ... و"تحفة

الأريب" وغيرها.

وتعتبر أعمال زاوية القلقليين بما انتحه رجالها في

الدرس والتأليف والأدب، أحد المعالم المهمة التي صنعت

مركز فاس العلمي، وحركت نشاطه في العلم والأدب.

❖ الفرع الثاني:

أ- وتمثله زاوية المخفية بفاس، ويقوم مع الشيخ محمد بن معن (ت: 1062) الذي بنى هذه الزاوية ليجعلها خاصة به وبأتباعه.

وإذا كان الشيخ محمد بن معن ما يزال -باعتراف الجميع - يعتبر الشيخ الوحيد للطريقة الفاسية بعد الشيخ عبد الرحمن العارف الفاسي، فإن وفاته قد خلفت أزمة في ولاية مشيخة الزاوية الفاسية، فقد اعتبر البعض أن خلافة مشيخة الزاوية، قد أصبحت عند الشيخ عبد القادر الفاسي (ت: 1091)، فقام بذلك الفرع الأول من الزاوية الفاسية بالقلقيين.

بينما اعتبر تلامذة محمد بن معن أن مشيخة الزاوية الفاسية تستمر في زاوية المخفية، ومع الشيخ قاسم الخصاصي الذي يعتبر الوارث لسر الولاية عن سلفه ابن معن.

وبذلك امتد الفرع الثاني للزاوية الفاسية بالمخفية، فيقوم مع الشيخ قاسم الخصاصي أولاً، ثم مع خلفه أحمد بن معن (39) (ت: 1120).

وقد اعترف بأهلية الشيخ قاسم الإخصاصي للمشيخة
كثير من أحفاد أبي المحاسن الفاسي، وبخاصة الشيخ
المهدي الفاسي (ت: 1109)، فانتصر له حينما ركز على
ترجمته في كل منمتابه "تحفة أهل الصديقية"،
وكتابه "الإلماع ممن لم يذكر في ممتع الأسماع" الذي ←

35- لائحة مصنفاة في النشر 132/3 - وراجع

فهارس علماء المغرب 739/3.

36- من كتاب "اللؤلؤ" جزء خاص بشعر والده / مخ خ

ح: 597- وراجع عن المنح البادية: فهارس علماء

360/2.

37- منه قطعتان: مخ خ ح: ك 1080 - ومخ ح: ز

3637، ويتم الاشتغال بتحقيقه في إطار رسالة

جامعية.

38- راجع لائحة مصنفاة في النشر 163/4.

39- ترد ترجمة أحمد بن معن في: المقصد الأحمد
للقادري: وهو في مناقبه - والإلماع للمهدي الفاسي:
وهو في مناقبه أيضا - والزهر الباسم: في غير موضع
- وتحفة الطالب للوزير الغساني 208/2 وما بعدها -
النشر 3 / 182 - التقاط الدرر 300 والمراجع
المذكورة.

ذيل به كتابه "المتع" (40)، والذي خص به ترجمة
الشيخ أحمد بن معن شيخ زاوية المخفية بعد الشيخ
قاسم الخصاصي، لثبت صدق وراثته سر الولاية
الفاسية عند شيوخ المخفية، وليؤكد شرعية انتقال
المشيخة إلى رجالها.

وقد ناصر شيوخ المخفية كثير من رجال الأسرة
القادرية، والعديد من العلماء والأدباء الذين أصبحوا
يمثلون حاشية تلازم الشيخ أحمد بن معن، وتجتمع
عنده، وتنتسب إليه، فنشطت بذلك زاوية المخفية
ليتها لها مجال الإنتاج العلمي والأدبي، فيمارس
الدرس من طرف شيوخها في مقر الزاوية وغيره، فيكثر

بذلك تلامذتها من الأتباع والطلبة والشيوخ، وتمارس الأعمال الأدبية شعرا ونثرا، للتنويه بشيخ الزاوية، ومدحه، وتمجيد مواقفه، و تباشر الأعمال التأليفية من طرف العلماء من أتباع المخفية، إما لنصرة مواقف الزاوية، وذكر مناقب شيوخها، وإما لتسجيل مواد العلم التي كانت تشغل الدرس والوعظ في حلقات هذه الزاوية، وبين مجالس أتباعها.

(ب) وهكذا ألف في نصره الزاوية والتعريف بها،

وذكر مناقب شيوخها كل من:

-المهدي الفاسي(41) (ت:1109)، فكتب مجموعة من

المؤلفات يعرف فيها بالطريقتين الجزولية والزروقية،

باعتبارها أصل الطريقة الفاسية، ليخلص منها إلى

إثبات ولاية شيخه أحمد بن معن (ت:1120)،

ووراثته سر الأشياخ في الطريقتين المذكورتين.

وهكذا ألف:

كتاب: "تحفة اهل الصديقية في أسانيد الطائفة

الجزولية، والزروقية".(42)

وكتاب: "ممتع الأسماء في ذكر الجزولي والتابع وما لهما من الأتباع" (43).

وكتاب "الإلماع ممن لم يذكر في متع الأسماء"، خص به ترجمة شيخه أحمد بن معن (43).

-العربي القادري (ت: 1106).

وقد كتب تهذيبا جيدا لكتاب "تحفة أهل الصديقية"

اختصر فيه، وأضاف إليه مما لا بد منه،

أسماء: "الطرفة في اختصار التحفة". (44)

ومن مؤلفاته أيضا كتاب "الروض العاطر الأنفاس"...

الذي ينسب لابن عيشون الشراط.

-عبد السلام القادري (ت: 1110).

فألف كتاب "المقصد الأحمد في التعريف بالشيخ ابن

عبد الله أحمد". خصصه لترجمة الشيخ أحمد بن

معن، وذكر مناقبه. (45)

وجمع ديوان شعر خاص مما قيل في الشيخ المذكور من

قصائد المديح أسماء "مصايح الاقتباس في أمداح أبي

العباس"، (46)

وكان قد شرع في كتابه ترجمة للشيخ قاسم الخصاصي،
وتحصيل مناقبه، أسماها "الزهر" ←

-----40- راجع تحفة أهل الصديقية 84-

وراجع طالعة كتاب: الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع
الأسماع للمهدي الفاسي / مخ خ ع بتطوان رقم: 593.

41- ترجمته في جلاء القلب للمهدي بن يحيى الفاسي

/ وهو كله في مناقبه / مخ خ ح: ز 3858 - النشر

80/3 - التقاط الدرر 272 - عناية أولي المجد 44

- الحياة الأدبية للأخضر 138 والمراجع المذكورة -

فهارس علماء المغرب 738/3 والمراجع المذكورة.

42- من التحفة عدة نسخ مخطوطة / منها مخ خ ع: ك

597 - راجع المصادر للمنونى 173/1.

43- طبع كتاب "ممتع الأسماع" على الحجي بفاس عام

1305 - وطبع أخيرا بفاس بتحقيق: عبد الحى

العمرأوي، وعبد الكريم مراد / 1989 / مطبعة محمد

الخامس / فاس - وراجع ما تقدم: هامش رقم 40.

44- تنظر ترجمة العربي القادري في: فهارس علماء المغرب 736/3 والمراجع المذكورة، وكتاب "الطرفة في اختصار التحفة" ما يزال مخطوطا في عدة نسخ / منها مخ خ ح 1371.

45- طبع كتاب "المقصد الأحمد" 330/2.

46- أورد ذكره في "المقصد الأحمد" 330/2.

الباسم في مناقب الشيخ قاسم"، إلا انه لم يكمله؛
وبذلك تولى تنميته حفيده محمد بن الطيب
القادري. (47)

- أحمد بن عبد الوهاب الوزير (48) (ت: 1146). وقد
كتب تأليزين مهمين:
الأول: هو "المقباس (49) في مناقب الشيخ أبي
العباس".

والثاني: هو "تحفة الطالب في شرح مقصورة المناقب"
(49) وقد شرح فيه مقصودته التي ضمنها مناقب
الأشياخ، بدءا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وانتهاء

بالشيخ أحمد بن معن، ليستعرض سيرته ومناقبه،
وليثبت بذلك الأصول بالفروع في الطريقة.
ج- وقد اتسع مجال التأليف عند أتباع زاوية المخفية،
فألّفوا في المواد العلمية التي كان يجري بها الدرس،
وبخاصة ما ارتبط بالوعظ، أو بالسيرة النبوية، أو
ببعض ما يثار من حديث عن التصوف ونصوصه،
ومواقف رجاله؛ ولذلك كتب الشيخ المهدي عددا من
مؤلفاته في السيرة النبوية، وتمجيد شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم. (50)

واهتم أحمد الوزير بدرس السيرة والتأليف فيها، وشرح
نصوص المديح النبوي؛ فشرح كتاب "الاكتفاء" للكلاعي،
وشرح كلا من نصي "البردة" والهمزية" للبوصيري.

ومع كل هذا تنشط العملية الأدبية في الحاشية
الملازمة للشيخ أحمد بن معن، فيسجل الشيخ أحمد بن
عبد القادر القادري رحلة حجازية يضمنها أحداث
رحلة الشيخ أحمد بن معن، اسمها: "نسمة الآس في
حجة سيدنا أبي العباس". (51) ويثار ذكر الكثير من
القوائد الشعرية التي اختصت بمدح الشيخ أحمد بن

معن، وتمجيد الزاوية الفاسية بالمخفية، والتنويه بدورها، أنتجها عدد من أتباع هذه الزاوية ممن كانوا يمارسون الأدب ويزاولون صنعة الشعر؛ من أمثال أحمد بن عبد القادر القادري، والمهدي الفاسي، وعبد السلام القادري، والمنقوشي، وأحمد بن عبد الوهاب الوزير، (52) وغيرهم.

وبذلك تهيأ مع أعمال رجال هذه الزاوية - في فرع المخفية - في التأليف وممارسة الأدب، وكتابة مناقب الشيوخ، فرص تحريك العمل الأدبي، وتنشيط ممارسته في مركز فاس خاصة، والمغرب عامة. ليكون لهذه الزاوية في فرعها هذا أثر كبير على مركز فاس العلمي والأدبي أولاً، وعلى حركة الأدب ونشاطه في هذا العصر ثانياً.

5- وقد باتت نع هذه العوامل مركز فاس في نشاط واسع، سواء في مجال التأليف العلمي أو في مجال الإنتاج الأدبي تأليفاً وإبداعاً؛ إذ أكثر ما عرفته هذه الفترة من أعمال تأليفية وأدبية، إنما ترجع إلى أعمال رجال فاس.

فيكفي أن نذكر الإنتاج الكثير في العلم والأدب والتاريخ
والتصوف لأعلام الأسرة الفاسية الفهرية، وبخاصة
من أهل زاويتهم بالقلقيين، وشيوخ حلقاتها، مع الشيخ
عبد القادر الفاسي (ت: 1091)، وولديه عبد ←

-----47- والكتاب ينسب في النهاية لـ محمد بن الطيب
القادري / منه مخ خ ح: 685، وهي المعتمدة في هذا
العرض / ومنه عدة نسخ أخرى- راجع المصادر للمنونى
225/1.

48- ترجمته في: النشر 3/364- السلوة 2/299.

49- يرد ذكر المقباس في: المقصد الأحمد 2/369 -
وتحفة الطالب له: 2/255، وقد نقل منه. أما تحفة

الطالب في "شرح مقصورة المناقب" فمنها: الجزء
الأول: مخ خ ع: ج 44 - والثاني مخ خ ع: ق 81.

50- راجع عن مؤلفاته في السيرة الحياة الأدبية
للأخضر: 139.

51- منها مخ خ ح: 8787 وهي المعتمدة في هذا

البحث.

52- تتوزع أشعار هؤلاء في كل من: المقصد الأحمد -

والزهر الباسم - ونسمة الآس - وغيرها، وقد صنع

عبد السلام القادري ما جمعه منها ديوانا أسماه:

مصاييح الاقتباس في مدائح سيدنا أبي العباس - أورد

ذكره والإحالة عليه في كتابه: المقصد الأحمد

.330/2

الرحمن (ت: 1096)، وامحمد (ت: 1116)، وأحفاده

محمد الطيب (ت: 1113)، ومحمد الصغير (53)

(ت: 1134)، وعبد الله بن محمد الصغير (ت:

1131)، ومحمد بن أحمد الفاسي (ت: 1179)، وأبي

مدين الفاسي (ت: 1181)، وأبي حفص الفاسي (54)

(ت: 1188)، وغير هؤلاء، (55)

ومع إنتاج تلامذتهم ومريديهم مثل محمد العربي

بردلة (ت: 1333)، وأحمد بن الحاج (ت: 1109)،

وابنه محمد (56) (ت: 1128)، وحفيده الشاعر أحمد

(57) (ت: 1133)، وعبد السلام جسوس (ت: 1121)،

وولده عبد الله (ت: 1136)، وقريبهما محمد بن قاسم
جسوس (ت: 1182)، وأحمد بن محمد ميارة الفاسي
(كان حيا 1151)، صاحب كتاب "نزهة الاذكياء".
وغيرهم.

ب) ومع الإنتاج الوافر أيضا من التأليف الأدبي
والعلمي في حاشية شيخ الزاوية الفاسية بالمخفية، مع
محمد المهدي الفاسي (ت: 1109)، وآل القادري مثل
عبد السلام القادري (ت: 1110)، وأخيه العربي
(ت: 1106)، وولده عبد القادر (58) (ت: 1179)،
وقريبهما أحمد بن عبد القادر (59) (ت: 1133)،
وحفيد الأول محمد بن الطيب بن عبد السلام
(ت: 1187)، وأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني
(ت: 1145)، والمهدي بن يحيى (61) (توفي بعد
1140)، وغيرهم.

ج- ومع مشاهير العلماء الذين تصدروا للتدريس
بفاس، والتأليف في مجال العلم والادب، مثل محمد بن
حمدون بناني المحوجب (ت: 1140)، ومحمد بن عبد
السلام بناني (ت: 1163)، ومحمد بن زاكور

(ت: 1120)، ومحمد بن زكري (ت: 1144)، وأحمد
بنمبارك اللمطي (ت: 1156)، ومحمد بن الطيب
الشركي (ت: 1170)، وإمام النحو على عهد محمد بن
ادريس العراقيب (63) (ت: 1142)، وولده حافظ
العصر المحدث ←

53- هو محمد بن عبد الرحمن صاحب فهرسة المنح
البادية / ترجمته في: النشر 254 - التقاط الدرر
323 - عناية أولي المجد 51 - السلوة 319/1 -
فهارس علماء المغرب 360/2 والمراجع المذكورة
بالحامش.

54- راجع عن ترجمة أبي حفص الفاسي، وعن
مؤلفاته: الحياة الأدبية للأخضر: 306 وما بعدها.
55- ترد الإحالة على مظان ترجمة هؤلاء المذكورين
ومن يليهم في غير هذا الموضع إن شاء الله.

- 56-تنظر ترجمة محمد بلحاج في: رياض
الورد: 177 - وسلوؤ الأنفاس 155/1 - وراجع ما
تقدم عند الحديث عن الزاوية العياشية هامش رقم
233.
- 57-ترجمته في نشر المثاني 251/3 - التقاط الدرر:
321 - رياض الورد: 80 ب - سلوؤ الأنفاس
156/1.
- 58-توفي عام 1179 - ترجمته في: الإكليل والتاج
للقادري: 123 - السلوؤ 347/2 - المصادر للمنوني
231/1 - وما تزال بعض مؤلفاته موجودة. منها
الديوان الشعري الذي جمعه له قريبه محمد بن
الطيب القادري / مخ خ ح: 5804 - ومنها منظومة في
سياسة الخيل أسماها: يتيمة الأجياد في الصافنات
النجباء الجياد / مخ خ ع بتطوان رقم 462 ضمن
مجموع.
- 59-هو الشاعر صاحب رحلة نسمة الآس / ترجمته
في: رحلته مخ خ ح: 8787 - نشر المثاني 247/3 -

- والتقاط الدرر 319- والزهر الباسم: ورقة: 85 -
97 مخ ح ح: 685 السلوة 353/2.
60- ترجمته في: الأنيس المطرب 39 - كناشة
بنسودة: 39 أ / مخ ح ع: د 163 - المقصد الأحمد
374/2 - المسلك السهل: 53 - النشر 357/3 -
التقاط الدرر: 358 - الإكليل والتاج: 46 مخ خ ح:
1897 - سلوة الأنفاس 123/3 - وما تزال بعض
مؤلفاته موجودة، مثل النجم الوهاج / مخ ح ع: د
2128 - وتذكرة الغافل / مخ خ ع بتطوان 417.
61- راجع عن المهدي بن يحيى الفاسي: المصادر
للمنوني 215/1 - ودليل بنسودة 202/1 - وما يزال
مؤلفه: جلاء القلب القاسي بمآثر سيدي المهدي الفاسي
موجودا / منه مخ خ ح: ز 3858 غير تام.
62- سترد الإحالة على مظان ترجمة هؤلاء المذكورين
ومنيلهم، مع ذكر مصنفاتهم في الفصول اللاحقة من
هذا البحث.
63- ترجمته في فهرسة ولده ادريس العراقي: مخ
خاصة - ونشر المثاني 326/3 - والتقاط الدرر 353

- وسلوؤ الأنفاس 28/2- وراجع لأئحة مؤلفاته فف
النشر 326/3.

إدرفس العراقف (64) (ت: 1183)، وعبء المعبء
الزفاءف (65) (ت: 1163)، وغبهم.
وهم جمفعا أفضا لهم أعمال تألففة أءفة بانب
الكثفر من الأعمال العملفة.

ء- ومع جماعة ربال الزاوفة الءلافة من أبناءها،
وتلامذتها المنتسبفن إليها، ممن نزلوا فاس أو نشأوا بها،
فصدروا للتفرس، واشتغلوا بالمتابة والتألف، فكان
لهم إنءاف كبفر فف المبالفن العلمف والأءبف، وأعمال
إباءفة فف قصائء الشعر ونصوص النثر، وءاباء
البلاغة والنقد، مثل أبف عف الفوسف (ت: 1102)،
ومحمد المرابط الءلاف (ت: 1089)، وولءه محمد بن
محمد المرابط (ت: 1099)، ومحمد بن أحمد المسناوف
(ت: 1136)، ومحمد بن أحمد الشاذلف (ت: 1137)،
ومحمد البكرف بن محمد الشاذلف (ت: 1164)،

ومحمد الصغير بن عبد الرحمن الدلائي (ت: 1141)،
وغيرهم كثير.

6) وبذلك كان لمركز فاس الحضور العلمي الواسع في
صنع المغرب العلمي والأدبي على عهد المولى إسماعيل.
وعلى جميع المستويات في التدريس والتأليف والإبداع،
فكان له من الظروف المواتية ما هياؤه ليكون محل
الاستفادة منه بالنسبة لبقية المراكز العلمية الأخرى
في المغرب، فتنبعث به حركة النشاط العلمي في فاس
خاصة، وفي المغرب عامة، ويساهم بشكل فعال في خلق
أجواء الحركة الأدبية التي عرفها عصر المولى
إسماعيل، وإثارة العناصر الباعثة على القول الأدبي
وممارسة أصنافه، وإنتاج مواد، إبداعا وتأليفا.
❖ الثاني: مركز مكناس:

وحاضرة مكناس لم تكن من الحواضر البارزة من قبل
في مجال العلم والدرس. ولا سيما على امتداد القرن
الحادي عشر. حينما كان لغيرها من بقية الحواضر
المغربية الأخرى حضور متميز في الدرس والتعليم.
ولعل قربها من حاضرة فاس التي كانت تعتبر مركز

التعليم والإشعاع العلمي في المغرب، قد استأثر بهذه المهمة، فحجب عنها ما كان بالإمكان أن تمثله من نشاط في هذا المجال.

وتبرز حاضرة مكناس باعتبارها أحد مراكز العلم المهمة مع دولة الأشراف العلويين، و بالأخص مع السلطان المولى إسماعيل، حينما اتخذ منها مقر سكناه وإقامته. فأخذت حظها من الاهتمام، وتهيأ لها من الظروف الخاصة والعامة ما جعل منها مركزا يضطلع بمهمة نشر العلم، وإقامة الدرس، كما هو الشأن في بقية مراكز العلم الأخرى. فيقوم بنفسه، ويعبر عن وجوده. وذلك بضم مشيخة علمية كبيرة تحيي مجالس العلم والأدب، وتقيم حلقات يجتمع إليها طلبة مكناسة ونواحيها، لتتخرج منها الأفواج المختلفة من الطلبة، ولتشهد مكناسة وأحوازها بذلك، لأول مرة، حركة واسعة من التأليف والتصنيف والإنتاج الأدبي. ويمكن أن تتمثل المظاهر الفاعلة في حركة هذا المركز فيما يلي:

أ- حضور مشيخة مهمة من العلماء في مكناسة، يقوم معها هذا النشاط في العلم والتعليم، وهي مشيخة يمثلها:

أولاً: شيوخ مكناس من أبنائها ممن اهتموا بالعلم، ومارسوا تدريسه. فاشتهروا بعقد مجالس الدرس، ←

64- راجع عن ترجمة ادريس العراقي الحافظ؛
فهرسته: كلها (مخ خاصة) - فهرسة الحضيكي: 78 -
سلوة الأنفاس 141/1 - الفكر السامي 291/2 -
النشر 193/4 - الحياة الأدبية للأخضر 295،
والمراجع الحال عليها - فهارس علماء المغرب 759/3
والمراجع المذكورة بالهامش.

65- ترجمة عبد المجيد الزياتي في: فهرسته: كلها مخ
خ ع: ك 1362 - رحلته الحجازية: بلوغ المرام: كلها:
مخ خ ع: ك 398 - سلوك الطريق الوارية من تأليف
أخيه امحمد: في غير: موضع / مخ خ ح: ز 1344 -

نشر المثاني 4 / 78 - التقاط الدرر 415 - السلوة
184/2 - الحياة الأدبية للأخضر 246، والمراجع
المحال عليها - فهارس علماء المغرب 3 / 753 والمراجع
المذكورة بالهامش - وراجع الترجمة الموسعة التي كتبها
الأستاذ عبد القادر النكادي حول عبد المجيد الزبادي /
دعوة الحق: 103 / عدد 8 - و119 / عدد - مزدوج 9
- 10 سنة 9

وإقامة حلقاته، ومعالجة العلوم ومصنفاتها، فاجتمع
عليهم الطلبة وتخرجوا بهم، وكتبوا لهم الإجازات التي
تشهد لهم بذلك، وتعطيهم الإذن في ممارسته رواية
ودراية، من أشهر هؤلاء الشيوخ:
- محمد بن الحسن (66) المجاصي (ت: 1103)،
وهو لا يذكر إلا وهو مرتبط بقضاء مكناس، حتى إنه
قد عد منابئها، وغن لم تكن ولادته بها، واشتهر
بدرسه العلمي في التفسير والوعظ. فكان يحتفل
السلطان المولى إسماعيل بختمه لدرس التفسير،
فيستدعي علماء فاس وغيرهم للحضور عنده، وسماع

الختم عليه. وقد تخرج به جماعة من علماء مكناسة،
فاس.(67)

- محمد بن أبي مدين (68) السوسي (ت: 1120)،
وهو كسابقه قد ارتبط بمكناس وقضاها، وإن لم يكن
من مواليدها. مارس التدريس والخطابة بجانب
القضاء، فاشتهر بذلك، واستفاد منه غير واحد من
طلبة مكناس، وأدار درسه على المنطق والأصول
والعقائد. وألف في ذلك. وقد تخرج به عدد كبير من
طلبة المغرب، فكتب الإجازات، وأجاد صياغة
الخطب.(69)

- عبد السلام البيجري (ت: 1132)، وهو ممن
اشتهر بدرسه في مكناس، وثابر عليه. فحضر عنده
أكثر الطلبة والشيوخ، وأعجبوا بطريقته ومعالجته
للمواضيع التي يقدمها. ويصف البصري في منحة
الجبار درسه، وما قرأ عليه في ذلك بقوله: "شيخ حسن
التقرير، جيد التعبير، يلحق المبتدئ بالمنتهي في الزمن
القصير، والأمد اليسير. لازمته نحو الست سنين، أخذت
عنه فيها السلم والمختصر المنطقيين. وكان يسرد شرح

الشيخ السنوسي عاى المختصر، في ختمتين، أخذتها
عنه. ويوشح ذلك بحاشية شيخ الجماعة سيدي أبي
علي اليوسي، وفوائد أخرى من كتب غريبة، ومسائل
بخطوط بعض الأئمة المعتبرين عجيبة. وأخذت عنه
شرح العلامة المحلي لأصول التاج السبكي أخذا عجيبا،
وكان يحضر جميع الحواشي، وينقل المسائل الغريبة من
شروح ابن الحاجب، والمنهاج، وأخذت عنه مختصر
السعد أخذا حسنا... وأخذت عنه نظم الخرجي في
العروض. وسمعت عليه أماكن من الألفية لابن
مالك". (71)

- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف
الفاصي (72) (ت: 1152)، وهو من الأسرة الفاسية
التي برز أفرادها بالعلم والتأليف في المغرب. نشأ
بمكناس وتولى القضاء به، واشتغل بالعلم، فولى
"التدريس بمسجد قسبة دار الإمارة بالحضره
المكناسية". وهو في درسه "بليغ فصيح بارع ماهر باهر،
له عارضة اللسان في التدريس والخطابة". (73) وقد
تخرج به خلق كثير من طلبةمكناس وفاس.

ويشتهر بالدرس غير هؤلاء من شيوخ مكناس، مثل
محمد بن عبد الرحمن بصري، (74) المقرئ
(ت: 1124)، والذي أحيى درس القراءات بمكناس.
فتخرج على يده كثير من أرباب هذا العلم. ونبغ منهم
من مارسه تدريساً وتصنيفاً، مثل أبي القاسم بن درا ←
66- ترجمته في: نشر المتاني 55/3 - التقاط الدرر
262 - الإتحاف لابن زيدان 47/4.
67- راجع النشر 357/2.
68- ترجمته في: النشر 201/3 - التقاط الدرر 303
- فهرسة محمد بن عبد السلام بنتني: 48 - منحة
الجبار: 277 - كناشة بنسوده: 63 أ - الإتحاف لابن
زيدان 85/4 - المصادر للمنوني 206/1.
69- من مؤلفاته: شرح السلم في المنطق: مخ خ ع: د
2121، د 517 - ، وفتوى مطولة في حكم غنيمة
العرائش، وارده ضمن فهرسة العميري: 93 ب -
وخطب: مخ خ ح: 9216، 3559، 4070، 6805.

70- له ترجمة في: منحة الجبار: 285 - تقييد في
عائلة البيجريين: 3 نسخة مرقونة - الإتحاف
357/5.

71- منحة الجبار: 285.

72- ترجمته في: الإتحاف 105/4.

73- الإتحاف: 105/4.

74- ترجمته في: منحة الجبار: 266 - والإتحاف
لابن زيدان 57/4، 521.

الشاوي(75) (ت: 1150) الذي حلق به في مكناس
أيضا، ولف فيه التآليف الكثيرة الشهيرة.
ومن شيوخ مكناس ممن تصدر للتدريس أيضا
الشيخ محمد بن عبد السلام البيجري(76) المؤلف
لفتح الرحمن الشهير، ولد المتقدم أعلاه (ت: 1169).
وكان له درس واسع ضم كثيرا من طلبة العلم. والشيخ
الأستاذ عبد الوهاب بن الشيخ(77) (كان حيا 1150)
قاضي مكناس. وغيرهم.

وقد هيا هؤلاء بحلقاتهم العلمية ومجالسهم
التدريسية، مجالا لطلب العلم والاستفادة منه. يتسع
أمره، ويكثر طلابه، وتعم فوائده، ليتحول العمل إلى
باعث لحركة العلم، والتأليف فيه، وممارسة الأدب
وإنتاج نصوصه.

ثانياً: الشيوخ الوافدون ممن استقر بهم المقام في
مكناس، فاشتغلوا بالعلم وأداروا مجالسهم به، وهم
يمثلون عددا كبيرا، يبرز منهم في البداية:

1) بعض علماء الدلاء، وطلبته، ممن كانت

إقامتهم بمكناسة، فنقلوا إليها من درس زاويتهم، ومن
أعراف هذا الدرس، ما جعل حلقات مكناسة تأخذ
حظها من أثر الدلاء، من هؤلاء:

- أحمد بن يعقوب (78) الولالي (ت: 1128) وهو

لم يكن له تكوين إلا بالدلاء، وعند شيوخه، وبخاصة
في حلقة أبي علي اليوسي، وقد نزل الولالي المذكور
مكناسة، فدرس بقصبتها الإسماعيلية مختلف العلوم
والفنون، ونشر بها ما كانت حلقات اليوسي بالدلاء
تهتم به. فدرس البلاغة وعلم الكلام والمنطق والفقه.

وحضر إليه عدد كبير من الشيوخ بما فيهم الأمير
محمد العالم الذي ألف برسمه كتابيه: مواهب الفتاح،
الذي شرح فيه تلخيص المفتاح للقرويني، وأشرف
المقاصد، الذي شرح فيه المقاصد في علم الكلام، للسعد
التفتازاني.(79)

- الشيخ سعيد العميري(80) (ت: 1131)، وهو
ممن قرأ على شيوخ الدلاء، وانتفع بالشيخ اليوسي،
وتأثر به في علوم المعقول ومناهجه في المعالجة، ولذلك
تعاطى تدريس التفسير وعلوم البيان والمنطق والنحو
والأصول في مجالس مكناس. ألزمه بذلك السلطان
المولى إسماعيل حين نقله من فاس، وأسند إليه قضاء
الحضرة بمكناسة. وقد انتفع به غير واحد في هذه
العلوم من طلبة مكناسة وغيرها، ونوه ولده بدرسه في
التفسير حين نقل عن بعض شيوخ المشرق القادمين إلى
المغرب على عهد المولى إسماعيل، انه لم يشهد مثيله في
درس التفسير في المشرق والمغرب.(81)

- الشيخ علي العكاري(82) (ت:1118)، وهو ممن
استقر به المقام مدةً مكناس قبل أن يقيم بشكل نهائي
في حاضرة الرباط. والعكاري ممن درس بالدلاء، ⇐

75- ترجمته في: الإتحاف 536/5 فهرس مخطوطات
القرويين 149/3 ويرد الحديث عن مؤلفاته.

76- ترجمته في: تقييد في عائلة البيجريين: 8
نسخة مرقونة - الإتحاف لابن زيدان 132/4 - دليل
مؤرخ المغرب 72/1 - المصادر للمنوني 182/1 ومؤلفه
فتح الرحمن لأفضال أم البرهان في التوحيد / منه مخ
الجامع الأعظم بوزان رقم 1157.

77- ترجمته في: مختصر يتيمة العقود الوسطى: 68
مصورة خاصة - تقييد في عائلة البيجريين: 9،21 -
فهرسة التاودي بنسوده: 42 -الروضة المقصوده
479 - الإتحاف: 739/5.

78- ترجمته في: الإتحاف 340/1 - مقدمة التحقيق

لكتابه مباحث الأنوار، والمراجع المذكورة.

79- نشر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص / ط 2 /

مطبعة السعادة / مصر / 1342 ونشر أشرف المقاصد

بالمطبعة الخيرية / مصر 1325 وبهامشه شرح السعد

النفزازاني.

80- ترجمته في: فهرسة ولده أبي القاسم في غير

موضع - منحة الجيار: 280 - تقييد خاص في

ترجمته من تأليف تلميذه الشرقي / مخ ضمن كناشة

الشرقي مخ خ ح 5958 - الإكليل والتاج 106 -

فهرسة ابن عبد السلام بناني: 51 - النشر 293/3 -

فهارس علماء المغرب 314/2.

81- راجع فهرسة العميري: 23 أ.

82- سيرد الحديث المفصل عنه وعن حلقاته وعلومه

وتلامذته عند ذكر مركز الرباط وسلا. وراجع عن

درسه في الدلاء: مباحث الأنوار: 17 - وفهرسة

لحايي: 7 - ومناقب العكاري: مخ خ ع: د 88.

- وتخرج باليوسي. وأدار درسه في العلوم التي أتقنها.
- فأخذ عنه النحو والبلاغة والأصول والمنطق. وانتفع به عدد من طلبة مكناسة، وسجلماسة، وغيرها.
- عبد السلام بن الشاذلي (83) الدلائي (ت: 1109) وهو من أهل الدلاء، استقر أول مرة بفاس بعد تخريب زاويتهم، فمارس التدريس بها. ثم انتقل إلى مكناسة، "فأقام بها مدة مديدة، وسنين عديدة، وتولى الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم، وانتصب للتدريس والفتيا. وتخرج بها جماعة". (83)
- الطيب بن الشاذلي الدلائي (84) (ت: 1107). نشأ بالزاوية الدلائية. ودرس بها. ثم مارس حلقة درسه فيها قبل أن ينتقل إلى فاس أول مرة بعد خراب زاويتهم. ثم يستقر نهائيا بمكناس حين تولى الإمامة والخطابة بمسجدها الأعظم. ومعها مارس التدريس، فاستفاد منه الطلبة، وتخرجوا به. وكان "آية من آيات الله في الحفظ والتحصيل. صاحب تحرير وتدقيق، ودراية وتحقيق. أخذ من كل علم بنصيب.

وله في التدريس والتقرير اليد الطولي والباع الرجيب،
متفننا في الفقه والأصول والعربية والأدب...".
- البهلول البوعصامي (85) (ت: 1126). وهو ممن
نزل مكناسة واشتهر بدرسه اللغوي والأدبي فيها.
فجلس إليه الطلبة، واستفادوا منه ففي ذلك،
وتخرجوا به. وأعجب الطلبة بطريقته في التدريس،
وبخاصة في ألفية ابن مالك، إذ "انتهى إليه حسن
تقريبها في وقته". (86) وفسح المجال للأدب في درسه،
فاشتهر بتداول مواده، ومعالجتها، ومشاركة طلبته في
ذلك. (87)

ابن عمه محمد بن عبد الرحمن
البوعصامي: (88) وقد اشتهر بالأدب وقول الشعر.
وعد من فحول عصره فيه. فتداول الناس أشعاره،
وانتشرت موشحاته. ومارس التدريس بفاس بعد رحلته
من المشرق. واستقر أخيرا بمكناس. فبرز في اللغة
والأدب. وحضر عنده ابن الطيب العلمي في درس
النحو، فنوه به وبإتقانه. وهو إلى هذا خبير في

الموسيقى، عليم بأمرها وفنونها، قد تلقن منه ابن
الطيب العلمي درسه فيها. (89)

- أبو بكر الفرجي المراكشي (90) (ت: 1139) وهو
ممن توزعت إقامته وحلقة درسه بين مكناس وسلا.
فدرس عليه طلبة الحضرتين. واستفادوا منه في العلوم
التي كان يجري إليها درسه، وبخاصة علوم البلاغة
والأدب ومعالجة بعض النصوص كقصيدة بانة سعاد
التي أدار شرحها في حلقة، وكان الأدب أغلب عليه
ممارسة ودرسا، حتى إنه كان يدرس الشفا، "يقرره
أحسن تقرير، ويفسر آياته، ويذكر ما فيه من علم
البيان والبديع، ويأتي من ذلك بالعجب العجاب الذي لا
تجده مسطرا مجموعا في كتاب". (91) ←

83-البدور الضاوية 466 - وراجع ترجمته أيضا في:
النشر 264/2 - الإتحاف 5 / 356.

84- ترجمته في: البدور الضاوية: 474 - الإتحاف
79/3.

85- ترجمته في: منحة الجبار: 282 -

فهرسة العميري: 85 ب / الروض الزاهر: 27 ب -
البدور الضاوية: 473 - الإتحاف 128/4.

86- منحة الجبار: 282.

87- فهرسة العميري: 87 ب.

88- ترجمته في الأنيس 168 - كناشة بنسودة: 95

- فهرسة العميري: 88 ب - الإتحاف 118/4.

89- الأنيس المطرب: 174.

90- ترجمته في: فهرسة الحاي في 26 - منحة الجبار:

287 - مجموعة العياشي التستاوتي: 78 - الإتحاف

الوجيز: 112 - الأعلام للمراكشي 219/1 - أعلام

المغرب العربي 261/1.

91- فهرسة الحاي في: 27.

- أحمد الشدادي الكبير(92) (ت: 1146) تولى قضاء
مكناس، وانتقل إليها بعد أن زوده شيخه محمد
المسناوي بوصيته.

وهناك أقام حلقة الدرس، ونشر العلم، ووصف في
الروضة المقصودة أهمية درسه فقال: "كانت مجالسه
العلمية نزهة الأفكار، لا يقع من اهل النجابة إلا عليها
الإختيار، تصدر للتدريس في فاس وغيرها من حواضر
المغرب وبواديه... " وقد درس عليه وتخرج به الشيخ
التاودي بن سوذة.(93) كما لازم درسه تلميذه أبو
القاسم العميري(94) مدة إقامته بمكناس. وانتفع به
في مواد الفقه وغيره.

- عمر لوقش(95) (ت: 1149) نزل مكناس بعد
عزله من ولاية تطوان. ومارس التدريس بها،
وبالأخص درس التفسير، وكان قد شوف بدرسه هذا.
فاجتمع عليه الطلبة من كل مكان، واشتهر أمره به،
لولا أن درس التفسير هذا أثار ضجة بين خصومه،
فكادوا له. وامتنحن بسبب ذلك لولا أن نجاه الله.

هؤلاء أشهر من درس بمكناس من القادمين إليها.

على أن هناك غيرهم من مارس التدريس، وإقامة حلقاته، مثل القاضي عبد القادر بن محمد بن عبد الملك السجلماسي الشريف شارح الهمزية البوصيرية، الشهير، وأحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي في بعض زيارته، وأحمد بن عبد العزيز الهاللي السجلماسي، وغيرهم من علماء فاس الذين يقدون على حضرة السلطان في المناسبات المختلفة. (96)

والملاحظ أنه قد ساهم في هذا الدرس بمكناس، بعض علماء المشرق ممن وفد على حضرة السلطان المولى إسماعيل، مثل الشيخ العالم محمد بن حسين المقدسي الذي نزل مكناس عام 1130. وقد جالسه وعائشه الشيخ أبو القاسم العميري، واستفاد منه. كما أعجب هذا الشيخ بطريقة تدريس المغاربة، وبخاصة درس الشيخ سعيد العميري في التفسير، (97) وليس من شك في أن نشاط هؤلاء جميعا بما أقاموه من حلقات للدرس والتكوين، كان عاملا حاسما في تحريك العملية العلمية بمكناس، وتهيء الأجواء المناسبة لخلق حركة

علمية وأدبية، كانت نتائجها واضحة فيما عرفته
مكناس من أسماء للأدباء، وأعمال لهم في الشعر والنثر،
وفيما عرفته أيضا من أعمال التأليف في الفنون والعلوم
المختلفة.

ب) إقامة السلطان بمكناسة، واهتمامه بدرس
العلم بها، وتكليفه العلماء ليقوموا بتنشيط حلقاتها،
وإدارة مجالس التعليم بها؛

1) فكان من هذه المجالس العلمية ما حضرها
بنفسه، فاستقدم لأجلها العلماء من فاس وغيرها. ففي
النشر في أحداث 1100 أنه أورد "الأمر من السلطان
مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، بإشخاص
الفقهاء لحضورهم ختم التفسير عند القاضي أبي عبد
الله محمد بن الحسن المجاصي. فخرجوا من فاس إلى
مكناسة، وحضروا الختم في قبة من دار السلطان،
وهيأها لهم بالبساط والفراش الرفيع، واطعم طعاما



- 92- له ترجمة في: فهرسة العميري: 89 أ - فهرسة
التاودي بنسودة: 5 نسخة مرقونة - الروضة
المقصودة: 116 - الإتحاف لابن زيدان 341/1.
- 93- ترجمته في فهرسته: كلها - الروضة المقصودة:
وقد بني كله على ترجمته - الحياة الأدبية للأخضر:
322 والمراجع المذكورة.
- 94- ترجمته في فهرسته: كلها - الإتحاف 5 / 541 -
فهارس علماء المغرب 410/2 والمراجع المذكورة
بالحامش.
- 95- تنظر ترجمته في: تاريخ تطوان 167/2 -
18/3 - وراجع عن تدريسه التفسير بمكناس: فهرسة
العميري: 47 أ - تاريخ تطوان 27/3 وما بعدها.
- 96- يرد الحديث عن هؤلاء الثلاثة، والإحالة على
مظان تراجمهم في الفصول اللاحقة من هذا البحث.
- 97- راجع فهرسة العميري: 23 وما بعدها.

كثيرا، وفرق الدراهم. فكان من مشاهده الجليلة
وصنائعه الجميلة". (98)

2) وكان من هذه المجالس العلمية ما كان يكلف به العلماء، ممن لهم الأهلية العلمية، لإقامة مجالسه وإدارة درسه، ولو أدى الأمر إلى إرغامهم على ذلك. فيذكر عن أبي العباس الولاقي. وقد درس في مسجد القسبة الإسماعيلية بمكناس: "وكان تدريسه إذ ذاك بتعيين من السلطان، جبرا عليه بعد امتحان عظيم". (99) والولاقي المذكور ممن تفرد بذكر علوم المعقول بعد شيخه اليوسي في المغرب، وممن انتهج فيها درس علماء غير العرب، من أمثال السعد التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، والفضاري، و الصفوي،(100) وغيرهم. وهو المنهج الذي اشتهر به درس اليوسي في علوم المعقول، فكان يمزج في درسه للبلاغة مثلا بين المنطق واللغة والأصول وعلم الكلام. ونحو هذا المزج أيضا في درس العلوم المذكورة. وقد أخذ عنه هذه العلوم، فكان مقصد الرحلة من جل كبار طلبة عصره آنذاك. وكان ممن ألزمه السلطان المولى إسماعيل التدريس ونشر العلم، قاضيه سعيد العميري.

"ولاه السلطان قضاء حضرته مكناسة الزيتون وألزمه ملازمته، والتدريس بمسجده..."(101)

3)ويرسم لنا الولائي نفسه في طالعة شرحه للمقاصد الصورة العلمية التي أصبحت عليها مكناس مع المولى إسماعيل بقوله في كلام طويل: "... فهم حزب أهل العلم في ظلمات الافتقار، وطال عليهم ليل الإلغاء والاحتقار، إلى أن تداركتهم نعمة من ربهم، بطلوع طالع السعادة لحزبهم، وذلك بظهور الدول الشريفة المولوية الهاشمية الإسماعيلية.

فإذا بدور عزهم طالعة مسفرة، إذا وجود أفراحهم ضاحكة مستبشرة، فذهبوا حينئذ في العلوم كل مذهب، وتسنموا في المدارك أعلى ما يطلب، فعمت مجالس التدريس مساجدهم، وغشيت رحمة التعاطي للفهوم معاهدهم، وصارت حجج العلم لديهم تتمايل اتضاحا، وشبهات الجهل في جانبهم تتضاءل افتضاحا. ولم يزالوا في الارتقاء في تلك المدارج، وفي التنافس فيها طلبا لسلوك أعدل المناهج، إلى أن بلغوا أعلى

مراتب الإنشاء والتأليف، فصاروا بعد التعرف والتعلم
رؤوس التعاليم والتعاريف...". (102)

ج) استقطاب مكناس، باعتباره مركزا للدولة،
مجموعة من الأدباء، الشعراء والكتاب، ممن كان عملهم
يرتبط بالبلاط السلطاني، في الكتابة، أو في إنشاء
قصائد المدح، وغير ذلك.

ولذلك تذكر مجموعة من أسماء الكتاب الذين
برزوا في خدمة السلطان المولى إسماعيل، مثل محمد
بن محمد القيسي (103) الكاتب، والشيخ الشاعر عمر
الحراق، والوزير محمد بن الحسن اليحمدي صاحب
الكناشة، القيم على الخزانة السلطانية التي أنشأها
السلطان المولى إسماعيل، والكاتب الأديب السيد
الشرقي الإسحاقى صاحب الرحلة الحجازية الشهيرة
فيما بعد، والكاتب ←

99-الإكليل والتاج: 26.

100-توفي سعد الدين التفتازاني سنة 792 / ترجمته

في: أنباء الغمر 1/389 - بغية الوعاء 2/285-

طبقات المفسرين للداودي 2/319. البدر الطالع

2/203. وتوفي السيد الشريف الجرجاني سنة

816هـ ترجمته في الضوء اللامع 5/328 - بغية

الوعاء 2/196 - طبقات المفسرين للداودي 1/432 -

البدر الطالع 1/488. وتوفي شمس الدين محمد بن

حمزة الفتاري الرومي سنة 834 / ترجمته في:

الشقائق النعمانية: 16 - هدية العارفين 6/188.

وتوفي الشيخ عيسى الصفوي بالمدينة المنورة سنة 955

/ ترجمته في: الكواكب السائيرة: 2/233 - هدية

العارفين 5/810.

101-راجع الإكليل والتاج: 166.

102-أشرف المقاصد في شرح المقاصد 1/2 لأبي العباس

الولائي / ط: 1/المطبعة الخيرية / 1325.

103-له ترجمة وذكر في: الإتحاف: 4/60 - وراجع

الرسائل الفاسية 78 / مجلة تطوان / عدد خاص

بذكرى جلوس المولى إسماعيل على العرش / تخريج
ونشر: محمد الفاسي.

الأديب الشاعر عبد الحق بن عبد الكبير السحيمي
الحسناوي الذي فاق أقرانه في الشعر، وصناعة قصائد
المدح. (104)

ومع هؤلاء كان هناك الشعراء الذين يقدون على
السلطان من الأماكن النائية طلبا للرفد، وتحصيلا
للعطايا والصلوات، مثل الأديب الشاعر سعيد المنداسي
التمسماني. (105) وهو ممن أصبح الشاعر شبه
الرسمي لبلاط السلطان المولى إسماعيل. والشاعر عبد
الله الشنجيطي الشهير بابن رازكة، (106) والشاعر
أديب وقته محمد بن عمر الولاتي، (107) وغيرهم.
د) ازدهار مجموعة من العلوم بمكناس، والتأثير بها
على توسيع نشاط العلوم الأخرى؛

1) فقد اشتهر عند علماء مكناس الاهتمام
بالأنساب الشريفة والتأليف فيها، ولعل هذا راجع إلى

ما كان يغفله المؤلفون لأنساب شرفاء مكناس من حديث
جامع ومستفيض يعرف بها ضمن نسق شرفاء المغرب
عامة. ولذلك كثر التأليف في أنساب شرفاء مكناس.
فوجد القاضي محمد بن الحسن المجاصي يخص هذا
المجال بتقيدين: أولهما نظم في أشرف المغرب.
وثانيهما تقييد في الأشرف الجوطيين. (108)، وخص
محمد العربي بصري خاتمة كتابه "منحة الجبار"
للتعريف بالأسر الشريفة بمكناس، وذكر
أنسابها. (109)

كما اهتم بعض أبناء الشبيهين المكناسيين
بالتأليف في أنسابهم الشريفة، تصحيحاً للأخطاء التي
وقع فيها بعض المؤلفين السابقين، ولاسيما عبد السلام
القادري في الدرالسني، ومحمد بن عبد الرحمن
الدلائي في درة التيجان، وهكذا ألف عبد الرحمن بن
عبد الواحد الشبهي (توفي حوالي أواسط القرن 12)
رسالة سماها: نفي المتظلمين عن نسب
الجوطيين. (110)

وصنع قريبه عبد الرحمن بن عبد القادر الشبيهي
(توفي حوالي أواسط القرن 12) أرجوزه ناقش فيها
أغلاط من ألف في أنساب الأشراف ممن تناول فرق
الجوطين بفاس ومكناس. كما كتب تقييدا صغيرا في
نفس الموضوع أنهاه (111) عام 1138.

وألف محمد بن عبد السلام البيجري (ت: 1169)
رسالة طويلة في الموضوع أسماها: "الإنصاف في القضاء
بين النقيب وبين من انتسب إلى بيت النبوة من
الأشراف". (112)

2) واشتهرت بمكناس علوم القرآن. وبالأخص
القراءات منها. فبرز في ذلك ابن درا الشاوي
(ت: 1150)، ومحمد بن عبد الرحمن بصري المقرئ
(ت: 1124) وقد أجادا هذا الفن وأتقناه، وحصلا من
إجازات أشياخه، ومشاهير القراء على عصرهم، في
فاس وغيرها. ولهما تأليف كثيرة في هذا
الفن. (113) ⇐

- -----

- 104- ترد الإحالة على تراجم هؤلاء الأدباء في
الفصول اللاحقة من هذا البحث.
- 105- توفى 1088 / له ترجمة وشعر في: الدرر
المرصعة 427 - الحلل البهية: 108 - سنا المهدي
75 ب - القصيدة للجراري 604 والمراجع التي يحيل
عليها - معجم أعلام الجزائر: 75 - المصادر للمنوني
1 / 200 - وأشعاره موزعة في الجامع. منها مج مخ
ع: د 1656 / د 1644.
- 106- توفى 1144 / راجع عن وجوده بمكناس: منحة
الجبار: 288 - تنظر ترجمته في: الوسيط: 1 -
مقدمة التحقيق لديوانه الشعري: 15 والمراجع التي
ينقل عنها. وراجع الإتحاف 66/4.
- 107- توفى 1165 / راجع عن زيارته مكناس: منحة
الجبار: 287 - وراجع ترجمته في فتح الشكور: 127.
- 108- راجع الإتحاف 4 / 50 وقد أورد خاتمة التقييد.

- 109- راجع منحة الجبار: 293.
- 110-111) راجع المصادر للمنوني 216/1 - 217.
- 112- مكروفيلم خ ع بالرباط: 191، 191 / راجع المصادر للمنوني 182/1.
- 113- للبصري منظومة في إمالة أبي عمرو بن العلاء /
ومنظومة أفرد فيها رواية ابن عامر - وشرح على
مختصر خليل لم يكمل - ولابن درا الشاوي: تنبيه
السالك إلى جني ثمار دالية ابن مبارك: مخ القرويين:
1042 - زمخ خ ح: 119 - وحفظ الأمانى. وهو
حاشية على كنز المعاني للجعبري: مجلد أول مخ خ ح:
8427 - والمجلد الثاني: مخ خ ح 7773 - قصيدة في
القراءات: مخ خ ع بتطوان رقم 881 - وتقييد على
ابن بري - وشرح الهمز - وشرح على حرز الأمانى.

3) ومع هذين الفنين برز بشكل لافت في محافل مكناس
ومجالسها، علم الأزياج والأوقاف والفلك. ولبا سيما
عند أسرة المعزاوي المكناسية. فقد برز فيها أكثر من
عالم في هذا الموضوع. وحصل أفرادها الإجازات

الكتابية من أصحاب هذا الشأن في المغرب، ومن كبار الموقتين على عهدهم آنذاك. فيشتهر منهم عبد الرحمن بن محمد الفاسي لقبا، الشاوي المعزاوي" (114) وكان رئيس التوقيت في العصر الإسماعيلي، ويدعى مزوار المؤذنين بالجامع الأعظم بمكناس.

محمد بن عبد الرحمن بن امحمد الفاسي لقبا، الشاوي المعزاوي(115) (ت: 1169)، وهو أشهر رجال هذه الأسرة في هذا العلم، وأكثرها مشيخة في ذلك، إذ فاز بإجازات مختلف علماء التوقيت على عصره، وجمع مع التوقيت، الاشتغال بالأدب، وإتقان كتابة الإنشاء والترسل.

وعبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الشاوي المعزاوي(116) (ت: 1169) ولد من تقدم. وله إجازة مكتوبة حصل عليها من شيخ التوقيت على عهده العربي بن عبد السلام بن أبي حامد الفاسي. وتاريخها(1134).

4) واشتهر الاهتمام بنصوص المديح النبوي، والجري على معالجتها بالشرح. وبخاصة، قصيدة

الهمزية التي وجدت صدى واسعا لدى أوساط العلماء
في مكناس. فاهتم بشرحها عدد وافر منهم.

نذكر منهم يحيى بن عبد الواحد الجوطي
الشبيهي، ومحمد المفضل الفلوسي، وقاضي مكناس عبد
القادر السجلماسي. (117)

ولا شك أن بروز هذه العلوم، والاهتمام بها،
وإجراء حلقات الدرس بها، كان له انعكاس بشكل أو
بآخر على إثارة الاهتمام ببقية العلوم الأخرى.
وتشجيع مجالسها، وتحريك عملية الدرس اتجاهها،
وبخاصة تلك العلوم التي تدخل في التركيبة الأدبية،
فتشمل اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض
وغيرها، لتثمر في النهاية حركة ونشاطا في الأعمال
العلمية والأدبية، ممارسة، ودرسا وتأليفا.

(ه) وقد بات مع هذه المظاهر وجود فاعلية قوية
في مركز مكناس، لتحريك مكونات العمل الأدبي،
وصياغة نصوصه، وإنتاج نماذجه:

ويرافق ذلك حضور بارز للعديد من الأسماء
الأدبية التي ارتبطت بها حركة الأدب في المغرب عامة،

وفي مكناس على هذا العصر، ويرافقها من جهة ثانية قيام نشاط واسع في عملية التأليف والتصنيف، يشمل الأدب وعلومه وبقية الأصناف العلمية الأخرى. (1) فقد أصبحت محافل مكناسة تعج بأسماء أدباء العصر من شعراء وكتاب، وأصبحت مجالسها نشيطة بما يجري فيها بين هؤلاء الأدباء من أعمال شعرية وكتابية.

وقد احتفظت المصادر بمجموعة من هذه الأعمال لتعرفنا بنشاط بعض هؤلاء، كما هو الشأن في " الأنيس المطرب " لابن الطيب العلمي، وقد خص أدباء مكناس وشعراءه بحيز لا بأس به في كتابه، فتحدث عن الأدباء: عمر الحراق (ت: 1141)، ومحمد البوعصامي، ←

114----- راجع الإتحاف لابن زيدان 285/5.

- 115- ترجمته في: الإتحاف لابن زيدان 88/4 -
وراجع نصوص الإجازات التي حصل عليها في:
الإتحاف: 90/4 - 96.
- 116- ترجمته في: الإتحاف لابن زيدان 331/5 -
وراجع نصوص الإجازة المحصل عليها في: الإتحاف:
332/5.
- 117- كان يحيى الجوتي حيا سنة 1150 / تنظر
ترجمته وأخباره في: شرحه للهمزية: مخ خ ح: ز
11334 - تحفة الإخوان في شرفاء وزان: في غير
موضع حيث ترد بعض أشعاره - فهرس الخزانة
الصبيحية: 281 - حركة الأدب في المغرب، للدكتور
الترغي: 717/3.
- وتوفي المفضل بن احمد الفلوسي بعد 1152 / تنظر
ترجمته في شرحه للهمزية مخ خ ح ز 11299 -
وتاريخ الأدب لبروكلمان 100/5 - والإتحاف لابن
زيدان 317/4. وتوفي القاضي الشريف السجلماسي
سنة 1187 / تنظر ترجمته في: شرحه للهمزية: 1/2
مخ خ ح: 2711 (من تعليقه بالهامش بخط ابن أخي

المؤلف) - الإتحاف لابن زيدان: 331/5 - الأعلام
للزركلي 4 / 44 نقلا عن ذيل إتحاف المطالع لابن
سودة.

وعبد القادر بن شقرون (ت: 1143)، وأحمد دادوش،
(118) ولقاءه بهم جميعا، وما أجراه من أشعار لهم في
كتابه، وما تبادله وإياهم من أدب، وما استفاد من
بعضهم في مجال الاختصاص الذي يمارسونه أو
يتقنونه في التدريس أو الطب أو الموسيقى. وهؤلاء
جميعا يمثلون الصفوة من الأدباء الذين تحركت بهم،
وعلى يدهم، العملية الأدبية في مركز مكناس خلال
القرن الثاني عشر.

وبجانب هؤلاء تبرز أنشطة بعض الأدباء الآخرين
ممن تنفرد بذكرهم وذكر أخبارهم وأشعارهم بعض
المصادر الأخرى، مثل "نزهة الناظر" للتستاوتي،
و"فهرسة أبي القاسم العميري"، و"منحة الجيار"
للبصري،(119) وغيرها، فتنتقل لنا بعض أنشطة

الأدباء، مثل أبي العباس أحمد التستاوتي، الشاعر الكبير الذي قضى ما يقارب عشرين سنة من عمره بمكناس، حيث دفن بها، ومثل محمد بن عبد الرحمن المعروف بالبهلول البوعصامي - وهو ابن عم الأديب البوعصامي السابق - وقد كان أحد أدباء مكناس وشعرائها، وأبي القاسم العميري القاضي الأديب الشاعر، وأبي بكر الفرجي المراكشي نزيل مكناس (120) ومدرسا وأديب وقته، و محمد بن عبد الرحمن بصري العالم المقرئ الذي كان له في الشعر عارضة. (121) وهؤلاء جميعا ممن اشتهروا بالأدب وقول الشعر، بجانب اشتهارهم بالعلم والدرس والتأليف. فشهدت مكناس معه حركة علمية أدبية امتدت آثارها إلى ما بعد عصر المولى إسماعيل. ومع هؤلاء كان هناك كثير من الأدباء والكتبة المحترفين لصناعة الأدب، وخدمة بلاط السلطان، ومدح مواقفه والتنويه بها، مثل عبد الحق السحيمي، والكاتب الشرقي، ومحمد اليحمدي ولد الوزير المشهور، وغيرهم، وهؤلاء جميعا ما تزال أعمالهم الأدبية

متفرقة هنا وهناك. فتعرفنا بمستواهم الأدبي.
وتحفظ لنا طريقتهم في المعالجة الأدبية، وإنتاج
موادها، من شعر وكتابة. ولئن غابت عنا أخبارهم
وتفاصيل تراجمهم، فإن أدبهم قد ظل حاضرا شاخصا
يطل علينا من خلال مجموعة من المصادر الدفينة.
ومع هؤلاء الأدباء الذين كان لهم استقرار ما
بمكناسة، وتحريك لحافلها الأدبية، كان هناك العديد
من الأدباء الذين يقدون على بلاط السلطان،
فيمدحونه ويمدحون الأمراء والولاة، وغيرهم من
رجال الدولة. مثل عبد الله بن رزاقة
الشنجيطي(122) (ت: 1144) وقد أقام مدة بمكناسة
مدح فيها السلطان المولى إسماعيل، ولازم مجلس الأمير
محمد العالم، فأنشد فيه العديد من أشعار المدح
والثناء. ومثل محمد بن عمر الولاتي وقد وصفه
البصري في "منحة الجبار" بأنه: "أديب لمكناسة، ولقاءه
به. ومثل الشاعر سعيد المنداسي التلمساني
(ت: 1088) الذي أكثر من مدح السلطان المولى
إسماعيل. فلأزمه حضرا وسفرا إلى حين وفاته، ومثل

الشاعر الأديب على مصباح الزرويلي (ت: 1130). وقد
تحدث عن زيارته في بعض مصنفاته إلى مكناس،
ولقاءه الوزير اليحمدي بها. (124) ⇐

118- راجع ذكر هؤلاء في الأنيس المطرب: بالتتابع؛
166، 193، 168، 163.

119- يرد الحديث بعد قليل عن هذه المؤلفات.

120- تقدمت الإحالة على مظان ترجمة هؤلاء
الرجال.

121- راجع الإتحاف 521/4 حيث أورد بعض أشعاره.

122- نص على نزله بمكناس في منحة الجبار: 288

- وراجع أشعاره التي يمدح بها الأمير: محمد العالم
في: الإتحاف 66/4 - وديوان ابن رازكة 80 وما
بعدها.

123- منحة الجبار: 287.

124- جعل علي مصباح الباب الثالث من كتابه سنا المهدي في ذكر رحلته إلى مكناس عند الوزير اليعقوبي / راجع سنا المهدي: 191 أ - 199 أ / وكتاب سنا المهدي هو خاص بذكر مفاخر هذا الوزير اليعقوبي / من نسخة المخطوطة: مخ خ ح: ز 11095 وهي المعتمدة في هذا البحث.

وقد ساهم هؤلاء في تنشيط عملية الأدب وقول الشعر، لتتحرك بذلك عوامل الازدهار الأدبي في هذا المركز على عهد المولى إسماعيل.

2) وقد شهدت مع هذا مجالس مكناسة نشاطا واسعا في التأليف العلمي والأدبي، يساهم فيه كثير من أبناء مكناسة، أو من الوافدين عليها من العلماء والأدباء، لتكون بذلك معالم الحركة العلمية والأدبية قد اكتملت فصولها وأعطت ثمارها. فمن أشهر هؤلاء المؤلفين نجد: -أبا العباس الولايلي:

وقد كتب كثيرا من التأليف منها:

❖ شرح تلخيص المفتاح المسمى: "بمواهب الفتاح".

❖ "أشرف المقاصد في شرح المقاصد" : لسعد الدين

التفتازاني.

❖ شرح الجواهر المكنون".

❖ مباحث الأنوار في أخبار الأخيار". (125)

وغير هذا من شروح ومنظومات، ومؤلفات في المنطق

والأصول والفقهاء. وغيرها، تقارب عشرين تأليفاً،

وما زال أكثرها موجوداً في مكتبات المغرب. بالإضافة

إلى نصوص الإجازات والتقاريف.

-أبا العباس التستائوتي (ت: 1127)؛

وقد ترك كتابه الشهير "نزهة الناظر". (126) الذي

ضمنه رسائله وأشعاره وملحوناته وأجوبته. وكتاب

"شوارق الأنوار" الذي ضمنه أذكاره.

-عبد القادر بن شقرون المكناسي (ت: 1143)؛

وقد ترك شرحاً واسعاً مهماً لتصريف المكودي، (127)

ومجموعة وافية من الأعمال الطبية، وأشعاراً،

ومكاتبات، وغيرها.

-محمد العربي بصري (128) (ت: 1148)؛

وقد ترك من المؤلفات: "منحة الجبار". وهو في
التعريف أساسا بأسرته، وبشيخه وقريبه محمد بن
عبد الرحمن بصري، وبقية أفراد هذه الأسرة في
مكناس، وكتاب "الكواكب الدرية في مدح النبي وآله
وصحبه وسائر الأمة الحمدية". بالإضافة إلى أعمال
شعرية ونثرية، بعضها وارد في كتابه "منحة الجبار".
-أبا القاسم العمير(ت:1178):

وتشتهر له من المؤلفات:

❖ فهرسته الكبيرة(129).

❖ "الامليات الفاشية في شرح العمليات الفاسية".(130)

❖ شرح الشقراطسية".(130)

-محمد بن الحسن اليحمدي الوزير(131) الشهير

(ت:1132) صاحب الكناشة الكبيرة المسماة "بستان

الأذهان"، أو "واسطة العقدين".

وله آداب وأنثار كثيرة ورسائل مختلفة.

125- طبع الكتابان الأولان: مواهب الفتاح، أوشرف

المقاصد، بمصر / وحقق كتاب الأنوار في إطار رسالة

جامعية / شعبة التاريخ / كلية الآداب / الرباط /

موسم 1987 / وما تزال بقية مؤلفاته مخطوطة في

الخزائن العامة.

126- منزهة الناظر مخ خ ع بتطوان في مجلدين رقم

10، 11.

127- منه نسخة فريدة بالخزانة الحمزاوية رقم

167 أول مجموع.

128- ترجمته في: كتابه منحة الجبار: في غير موضع

- زهر الأكم للريفي 273 وذكر وفاته عام 1149 -

فهرسة قريبه البصري: إتحاف أهل الهداية: مخ خ ح:

ز 11267 - الإتحاف 426/5 - المصادر للمنوني 1/

166 - معا: منحة الجبار، والكواكب الدرية، ضمن

مجموع مخ خ ح: ز 941 / وهي النسخة المعتمدة في هذا

البحث / ومن منحة الجبار أيضا مخ خ ح: ز 4 و 16.

129- منها مخ خ ح: 905 وهي النسخة المعتمدة هنا /
راجع التحليل المفصل لهذه الفهرسة في: فهارس علماء
المغرب 410/2 وما بعدها.

130- ما يزال كتاب الأمليات في نسخ كثيرة مخطوطة /
منها مخ خ ع بتطوان رقم 649 / أما شرح الشقراطسية
فكان في مكتبة ابن زيدان بمكناس. وقد نقل منه في
الإتحاف، وحلله، واطلع عليه صاحب الفهارس ووصفه
- وليس له اليوم وجود في لائحة كتب ابن زيدان
بالخزانة الحسنية.

131- منها نسخة في عشرة أجزاء: مخ خ ح: ز 1034،
ز 3985 - وفي جزئين: مخ خ ع: ك 330 وتنظر
ترجمة اليحمدي في: سنا المهدي: كله - الإتحاف
106/4 - الأعلام للمراكشي 69/2.

-محمد بن أحمد اليحمدي(132) (توفي بعد
(1170):

وهو أحد الأدباء ممن برز في قول الشعر والتأليف
فيه، من أعماله:

❖ "ديوان شعر".

❖ "كشف الأسى بمحاسن الصالحات من النساء".

❖ "تحفة الظرفا بما في الكلاعي من رسائل

الخلفاء".

ويشتهر غير هؤلاء بالتأليف من أهل مكناس،

والوافدين عليها، مثل محمد بن أبي مدين

السوسي(133) (ت:0) 11277، وله عدة تأليف في

المنطق والأصلين، وفتاوى متعددة، وأشعار، ومراسلات،

وتقاريط، وخطب كثيرة.

- محمد بن الحسن المجاصي المكناسي (ت:1103).

وله مجموعة تقايد وأنظام في النسب، ومجموعة

من النوازل، وأعمال أدبية وغيرها.(134)

- ومحمد بن عبد السلام البيجري المكناسي؛

(ت1169)

- وأبي بكر الفرجي (135) (ت:1139).

وغيرهم كثير

والملاحظ أن ما هياه مركز مكناس من عوامل

النشاط الأدبي في هذا العصر، بكثرة أسماء شعرائه، و

كتابة العديدين، وتآليف رجاله في الأدب وعلومه، كان
ذا تأثير كبير في صياغة الحركة الأدبية العامة التي
عرفها مغرب المولى إسماعيل، وإنجاز معالمها.

- 132- ترجمته في: دليل بنسودة 268/1 - المصادر
للمنوني 231/1 - فهرس القرويين 142/2 أما ديوانه
الشعري، فهو مخ خاصة / راجع المصادر للمنوني
231/1 - وكشف الأسى: مخ القرويين 596 - ومخ
وزان رقم 414 / أما تحفة الظرفا: فهو مخ خ ح؛
9758 - ومخ وزان رقم 415.
133- تقدم ذكر مؤلفاتها.
134- راجع الإتحاف 50/4.
135- يشتهر من مؤلفاته: شرح السلم في المنطق / مخ خ
ع؛ د 2230 في 310 صفحة / وله أشعار ترد في:

منحة الجبار - ومجموعة العياشي التستاوتي -
وفهرسة الحاي في السلوى.

القسم الرابع

ثالثا: مركز عدوتي الرباط وسلا:
عرفت سلا من قبل حضورا علميا متميزا على عهد بني
مرين، حينما كانت تمثل مركزا للدرس والتحصيل
العلمي، يقصده الطلبة من كل فج عميق للدراسة، غير
أنه خفت نور هذا المركز، وغاب نشاطه فيما بعد، ليغمر
منطقة الرباط وسلا سكون وصمت، لا تستفيق معه
حلقات العلم بالمنطقة إلا مع اليقظة التي عرفتها
السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر، وتكبر هذه
اليقظة مع الانطلاقة النشيطة التي حركت مجالس
العلم وحلقات شيوخه خلال القرن الثاني عشر.
وهكذا كان لمظاهر العلم حضور لا بأس به، مع مجالس
التعليم التي شهدتها سلا خلال أواخر القرن الحادي

عشر، والتي حركها بعض العلماء من أمثال المفضل
(136) الشرقي (ت: 1071) والشيخ أحمد الطالب
(ت: 1072) وكان يقرئ المباحث الأصلية لابن البناء،
وشرحها لزروق، فيأتي بالعجب العجاب، ويتكلم عن
آيات القرآن (137) بمنزعه صوفي، وأبي المكارم أحمد
بن عيسى آدام (ت: 1094)، وقد اعتبر أحد رجال
الرواية في المغرب، فأخذ عنه صاحب «المنح البادية»،
واعتبره من بين الخمسة عشر رجلا الذين يحمل عنهم
أسانيد العالمة؛ ولذلك عرف به (138).

غير أن نشاط مركز العدوتين يتحرك بالعلم وكثرة
المجالس، مع مطالع القرن الثاني عشر، فتمثله المظاهر
التالية:

1) حلقة أبي الحسن (139) العكاري (ت: 1118)؛
وأبو الحسن علي العكاري هو ممن نشأ في مراكش،
فدرس بها، وصحب شيوخها، كالشيخ محمد بن سعيد ←

136) ترجمته في شرح نظم / ممتع الأسماع للتستاوني

1 / 323 ضمن / نزهة الناظر - الإتحاف الوجيز؛

98

137) الإتحاف الوجيز؛ 99

138) راجع / المنح البادية؛ 68 - والإتحاف الوجيز؛

100

139) ترجمته في: مناقب العكاري المسمى بالبدور

الضاوية / من تأليف حفيده أبي الحسن العكاري

(مخ.خ.ع.د.88) وهو خاض بمناقبه - مباحث الأنوار؛

93 - وكناشة العياشي التستاوتي؛ (2مخ.خ.ح.1928)

- فهرسة الحاف (5 مخ.خ.ع.ك.1421) - الاغتباط

436 - مجالس الانبساط 66 - الإعلام للمراكشي (9)

/ 225) - الزاوية الدلائية لحجي 116.

المرغيثي، وغيره، وحصل بها العلوم، ثم لازم الشيخ

الصوفي أبا عبد الله محمد بن عبد الله

السوسي. (140) فأخذ عنه طريقة التصوف، وانخرط

في سلكه، وانتقل إلى زاوية الدلاء، حيث تتلمذ على

اليوسي، وكثر من علمائها. وقد رافقه أثناء الطلب

بالدلاء أخوه محمد العكاري. (141) وأحمد بن يعقوب

الولائي، ومحمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي،
وحمل على بعض الإجازات من اليوسي، وعبد القادر
الفاسي.

وعصفت الرياح بعد خراب الزاوية بعلمائها، فنزل
العكاري بفاس، حيث تعاطى للتدريس بالقرويين، فأخذ
عنه كثير من طلبتها والوافدين عليها، النحو والتوحيد
في مقدمتهم سعيد العميري، والحاج علي بركة التطواني
وغيرهما.

غير أنه يستقر به المقام في سلا، حيث تقوم حلقاته
العلمية في مسجدها الأعظم، وهناك اجتمع عليه من
طلبة العدوتين وشيوخها عدد كثير، فأخذوا عنه علوما
متعددة، وقرأوا عليه، وبحضرته، عددا من الكتب التي
راج درسها آنذاك. كالتسهيل لابن مالك، وكبرى الإمام
السنوسي، وصحيح البخاري، وغيرها. وبرغبة من
تلميذه الأمير عبد الواحد ابن المولى إسماعيل، ينتقل
إلى سكنى الرباط، فيكون به إقباره سنة 1118، يعد
نشاط وافر في نشر العلم بمسجده الأعظم.

ويجمع الذين ترجموا للعكاري عن أهمية حلقاته العلمية بالعدوتين، ودوره في إحياء حركة الدرس ونشر العلم بها، فلم تكن الرباط بدار العلم، «فهو أول من أسس العلم بالرباط، وشيد مبانيه، وغرس من أصول الآداب ما تهدلت اليوم أشجاره، وأينعت تماره، وما مات رحمه الله حتى ترك العلم به قائم الأركان، مهصور الأفتان، يورث خلفا عن سلف» (142)

وإذا كان جانب من أهمية هذه الحلقة العلمية، يتجه إلى العلوم التي تعاطى تدريسها الشيخ العكاري، والمصنفات التي اعتمد عليها، وطريقة التدريس التي مارسها - فإن أهم جانب تميزت به حلقاته بالعدوتين، وكان له انعكاس إيجابي في تنشيط حركة العلم، والأدب في مغرب المولى إسماعيل، هو كثرة تلامذته الذين حضروا عليه. واستفادوا منه، وتخرجوا على يديه، فقد «نبغت على يديه جماعة من أهل العلم ملكوا بزمام المعارف والفهوم بعده» (143)

ويصنف حفيده جماعة الأخذيين عنه في ثلاث طبقات:

❖ طبقة السجلماسيين.

❖ طبقة علماء العدوتين وقضاتها، وهي الطبقة التي

كان لها سابق الطلب، وتحصيل العلم من قبل بفاس،

وغيرها من مراكز الثقافة في المغرب، ويبرز بينها

مجموعة الأسماء، كان لها نشاط وافر في الأدب والعلم،

من بينها: القاضي محمد مريـنو الرباطي(144) وقد

لازم العكاري بعد أن درس بفاس، وكان هو الذي يتولى

سرد الحديث بين يديه، بعد أن كان أبو العباس

أحمد(145) مريـنو يتولى ذلك قبل ←.

140) توفى سنة 1079 بالبحـجاز / ترجمته في:

مباحث الأنوار 2 وما بعدها، وهو في التعريف به

وبإتباعه وذكر منافيه - النشر 2 / 176 - الإعلام

للمراكشي 295/5.

141) توفى سنة 1092 - ترجمته عند ابن زيدان في

الإتحاف 4 / 96، وقد خلط بينه وبين أخيه أبي

الحسن - والإعلام للمراكشي 5 / 349.

142) الاغتباط : 436

143) الاغتباط : 438

144) كان حيا سنة 1143 / ترجمته في البدور
الضاوية للعكاري / مخ.خ.ع.د.88 - الاغتباط 102
- مجالس الانبساط 94 - الإتحاف الوجيز: 108 -
المنزعة اللطيف 424 (مخ.خ.ح.ز) 12155.

145) كان حيا عام 1135 / ترجمته في البدور
الضاوية للعكاري (مخ.خ.ع.د.88) - الاغتباط 16 -
مجالس الانبساط 90 - الإتحاف الوجيز 108.
ومن بينها كذلك القاضي محمد السوسي (146)

المنصوري، وقد قيد عن شيخه حواشي حفيلة على
كبرى السنوسي، وأحمد بن يحيى والزهرى الرباطي.
(147) وقد لازمه إلى أن سمع منه معظم الأمهات من

المتون، في كثير من الفنون، سماع يحث وتنفيذ وتحقيق
وتحرير (148) واستجازه، فكتب له إجازة بتاريخ
1108، وموسى الراحل الدغمي، (149) ومحمد
الدقاق (150) وغيرهم كثير.

وأكثر رجال هذه الطبقة قد تعاطى التدريس، وحلق بالعدوتين، في وقت كان ما يزال الشيخ العكاري على قيد الحياة.

ومنهم من اشتهر بالشعر والكتابة، فحفظت أعماله، وانتشرت في المجالس والمحافل بين الأدباء بعدهم. (151).

طبقة ثالثة وتخص علماء العدوتين ممن فتحوا أعينهم على حلقة الشيخ العكاري، ودرجوا في أحضانها، وعم عدد كبير منهم، ولده محمد العكاري. (152) والعلامة أحمد الغربي الرباطي (153) - وقد لازم ما يزيد على اثني عشر عاما، وتصدر الساحة العلمية في المغرب، طيلة القرن الثاني عشر - وأحمد بن عاشر الحاي في السلوي (154) وغيرهم،

وقد كان لهذه الطبقة شأن كبير في تحريك النشاط العلمي والأدبي بالعدوتين وباقي المغرب، فتصدر كثير من أفرادها للتأليف وممارسة الصناعة الأدبية، والغالبية من هؤلاء قد امتد بهم العمر إلى ما بعد عهد المولى إسماعيل. ومما زاد في حركة هذه الحلقة العلمية

أن نقل إليها شيخها العكاري، تقاليد الممارسة العلمية التي عايشها في زاوية الدلاء، فأقام بها سوق الإنشاد الأدبي وقول الشعر، وقد احتفظ حفيده في كتاب «المناقب» الذي خصه به، بمجموعة طبية من الأشعار التي قيلت في مدح الشيخ العكاري وتمجيده والثناء عليه، أو مما قيلت في رثائه غداً وفاته.

وضمن هذه الممارسة الأدبية، كان إحياءه لليلة المولد النبوي، وإنشاد القصائد في مدح الرسول (ص) فكان «يجمع الطلبة أسبوعاً أو أكثر، يقرأون القصائد في مدح النبي (ص) في موضع ضريحه الآن، ويطعمهم ويكرمهم، وهو مبتهج فرحاً وسروراً بذلك» (155)

2) حلقة الزاوية المباركية:

وهي حلقة ضمت بالخصوص جماعة من أدباء سلا وطلابها، من أمثال موسى الراحل الدغمي، وأحمد بن علي المراكشي (156) وأحمد بن عاشر الحافي السلوي، ومحمد الصبيحي، ومحمد ملاح، وغيرهم، فارتبطت بعلاقة مع الشيخ أحمد التسناوتي ⇐

146) توفى سنة 1142 / ترجمته في فهرسة الحايي؛
(مخ.خ.ع.ك.1421)- ونسب له تأليفين هما: شرح
المختصر المنطقي. و شرح الكبرى، وكلاهما للسنوسي -
والإتحاف الوجيز: 113.

147) توفى بعد 1120 - ترجمته في البدور الضاوية
للعكاري / (مخ.خ.ع.د.88) - الاعتباط: 12، وقد أورد
نص أجازه العكاري له، نقلا عن البدور الضاوية
المذكورة - الإتحاف الوجيز: 102 مجالس الانبساط:

90

148) الاعتباط: 13

149) توفى عام 1140 / ترجمته في فهرسة الحايي
17 - نزهة الناظر 1 / 76 د وما بعدها - الإتحاف
الوجيز: 112.

150) توفى عام 1158 / ترجمته في فهرسة الحايي؛
10- الدرر المرصعة: 85 - الاغتباط: 106 -

الإتحاف الوجيز: 113 - طلعة المشتري 2 / 108 -
كناشة بناصر (مخ.خ.ج.2843) - الأعلام 6/60.

151) مثل محمد مريـنو، وقد جمع بعض أحفاده شعره ونثره في ديوان خاص به (راجع الاغتباط 102).

152) ترجمته في الاغتباط 105 مجالس الانبساط؛
113

153) ترجمته في فهارس علماء المغرب 3/757
والمراجع المذكورة بالهامش.

154) توفي عام 1163 / ترجمته في فهارس علماء
العرب 3/752 والمراجع المذكورة.

155) راجع مجالس الانبساط: 87.

156) توفي عام 1129 ترد ترجمته في نزهة الناظر

376/1 حيث ترد رسائل الشيخ أحمد التستاوتي إليه

- والاغتباط 16 - ومجالس الانبساط 91 -

والاستقصا - 113/7 - والإعلام للمراكشي 2/352 -

وترد له أشعار بمجموع (مخ.خ.ع.بتطوان 102).

وبأخويه، العياشي، ومحمد الحاج، فأقامت فرعا

للزاوية المباركية بسلا جعلت منه محل اجتماعها،

وإقامة مجالس الدرس به.

وقد نشطت هذه الجماعة من خلال المراسلات المتبادلة

بينها وبين الشيخ أبي العباس التستاوتي، فكانت ترد

عليها رسائله، إما بالتعيين، فتخص شخصا معيناً من هذه الجماعة، وإما بصورة عامة تخاطب الجماعة من أهل سلا وطلابها، وتصدر عنها الرسائل والخطابات الشعرية والنثرية، فتستمد من الشيخ المذكور توجيهها، وتتخذ منه قدوة تنتسب إليه، وتنتهج طريقه، وتسير على هديه، وقد تميزت هذه المراسلات والمراجعات بالكثرة بما يجري بين الأقران من جهة، وبين الشيوخ وطلبتهم من جهة أخرى، لتكون حافزا على تبادل الكتابة، وإنشاء الرسائل وصنع القصائد والمقطعات، كما هو الأمر في مراجعات أبي العباس التستائوي مع الشاعر الشيخ القاضي محمد مريـنو (كان حيا 1143) الشعرية والنثرية، إذ جمعها بعض أحفاد هذا الأخير في ديوان خاص بالرجل، ضم ما قاله من شعر ومرشحات وأزجال ورسائل في المواضيع المختلفة. وقد اطلع صاحب «الاغتباط» على هذا الديوان فتوصف ما ضمه من هذه المراجعات بقوله: «... وكل هذا وقفت عليه بخص قديم، من جملة ديوان خاص جمعه بعض أولاده، وذيله بكثير من منشوره ورسائله،

مع مكاتبات ومحاورات نثرية وشعرية جرت بين المترجم وعصريه الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوني دفين مكناسة الزيتون، وهي وحدها تدل على جلالته وفضله، لما تضمنته من الإشارات والمغامز الصوفية، والحقائق والفهوم العرفانية، الجارية على أسلوب كلام القوم، وطريقهم الربانية». (157) وقد احتفظت «نزهة الناظر» و«كناشات» أبي العباس بن عاشر الحاي، بالعديد من الرسائل والأشعار التي تمت بها المراجعة بين أبي العباس التستاوتي، وموسى الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحاي. (158)

وقد أثمرت هذه الحلقة نشاطا مميّزا في العمل الأدبي، تمثل فيما أنجزه أحمد ابن عاشر الحاي من جمع لأعمال الشيخين: أحمد التستاوتي، في «نزهة الناظر» حين جمع بين تألّيفي شيخه «نزهة الناظر» في الأصل «مشارك الأنوار» مع ما أضافه إليها في أشعار ورسائل (159) وفي مجموعة العياشي التستاوتي التي ضمت ما صدر عنه من شعر أو نثر أو مراجعات بينه وبين

معاصريه. (159) بل وفيما أنجزه أحمد ابن عاشر
نفسه في تأليفه وكنانيشه، حيث احتفظ فيها بالكثير
من الأعمال الأدبية التي أنتجها هو، أو بعض معاصريه
من الشيوخ والأقران. (160)

وبذلك كانت حلقة الزاوية المباركية بسلا حلقة علم
وأدب تثير شعلتها حرارة في إنتاج أعمال الأدب،
وتحرك ما يجري إلى ذلك، لتساهم في خلق ما تميز به
مركز العدوتين من نشاط في الإنتاج الأدبي خاصة،
ولتصنع جانبا من الحركة الأدبية التي عرفتها فترة
المولى إسماعيل في المغرب عامة.

3) حلقة محمد بن زكري:

وتمثلها نفس الشخصيات التي مثلت الحلقة السابقة،
يتقدمها أحمد بن عاشر الحافي السلوي، وقد كان
لأفراد هذه الحلقة علاقة الطلب والتلمذة على ←

158) راجع نزهة الناظر: 372/1 - 392 و 232/2 - 251.

159) من نزهة الناظر (مخ.خ.ع بتطوان) في مجلدين كبيرين تحت رقم 10 - 11 ومن مجموع العياشي (مخ.خ.ع.1928)، وقد كانت النزهة وصاحبها موضوع في دراستين جامعتين الأولى: التستاوتي من خلال نزهة الناظر - والثانية: شعر أبي العباس الستناوتي جمع وتحقيق.

160) ترد العديد من أشعار ابن عاشر الحافي في: فهرسته، وكتابه تحفة الزائر في مناقب أحمد بن عاشر، وفي كناشته الأولى (مخ.خ.ع بتطوان رقم 536) / وكناشته الثانية: مخطوطة خاصة بخزانة الأستاذ محمد العراقي بالرباط.

الشيخ ابن زكري، حينما جلست إلى درسه بفاس، واستفادت من حلقاته العلمية، فضلت على صلة به تستمد منه التوجيه، وترتبط به في المكاتبات والمراسلات التي كان يتبادلها كل من الشيخ المذكور، وتلامذته. والملاحظ أنه سبقت إقامة للابن

زكري(161) بسلا، وإدارة حلقة العلمية بها، فهي حلقة تقوم بسلا لتمثيل استمرارية مجلسه العلمي الذي كان يقيمه مع طلبته بفاس، ويجري حلقة فيه. وقد تميزت توجيهات محمد بن زكري -بما يشبه توجيهات ابن عياد الرندي في رسالته الكبرى والصغرى(162) إلى طلبته -بما يوجه طلبته الاهتمام بالعلم، والإخلاص فيه، وكيفية إدارة درسه بينهم، وما يجمع في ذلك من التربية الروحية، وتبديد الشكوك، وتهيء الظروف لسلوك مسلك السداد والنجاح. ويذكر أحمد بن عاشر أنه قد جمع من رسائل شخيه محمد بن زكري هذا، مما كتبه إلى طلبة هذه الحلقة، مجموعا كبيرا في توجيهها وتربيتها (163) وإرشادها، سواء مما ورد باسمه خاصة، أو باسم الجماعة التي تمثل هذه الحلقة، وقد ضمت عددا من الأسماء العلمية.

وتحتفظ «فهرسة» أحمد بن عاشر ببعض نصوص هذه الرسائل.(163) لتكون نماذج لبقية نصوص الرسائل الغائبة عنا. مما ضمه المجموع المذكور آنفا.

بقية حلقات العلم والتدريس:

ومع هذه الحلقات - التي كان لها فضل كبير في نشر العلم، والوعي به، والتنبيه على مزيته، مما كان له الأثر الزائد في حركة الأدب وتنشيط إنتاجه بالعدوتين - فقد عرفت حلقات الرباط وسلا نشاطا زائدا في العلم والأدب مما أقامه الشيوخ من أبنائها، أو من الطارئین عليها. فقد تعددت حلقات العلم مع تلامذة أبي علي العكاري، لتعم مساجد العدوتين وزواياها، فيقبل عليها الطلبة بشغف وكثرة، لتكون تكميما لعمل الشيخ العكاري، وتتويجا للحركة العلمية التي عرفتها مجالس عدوتي الرباط وسلا، على امتداد القرن الثاني عشر.

ويحتفظ كتاب «البدور الضاوية» بلائحة مطولة لتلامذة الشيخ، ممن تخرجوا من حلقاته، واستفادوا العلم والأدب من مجالسه، فأقاموا من جهتهم مجالس العلم والتدريس، تبرز بينها مجالس أحمد الغربي. (164) الرباطي الذي اعتبر شيخ الجيل علما

وإسنادا وأدبا في هذا العصر، فدرس الأدب بشرح
نصوصه، وأسند الروايات، وأفاد في العلم وتحصيله.
وتعددت حلقات العلماء الطارئين على سلا، فيقوم بها
درس الشيخ مسعود(165) جموع في القراءات والسيره
النبوية، ودرس الأديب أبي بكر الفرجي(166).
المراكشي، ودرس أبي القاسم العربي (167) ابن زائده
وغيرهم. ←

161) راجع فهرسه الحاي في 33 حيث ذكر ما قرأه عليه
من علوم ومصنفات بسلا.

162) طبعت الرسائل الكبرى على الحجر بفاس عام
1320 وطبعت الصغرى أخيرا بلبنان بتحقيق الأب
نويا.

163) فهرسة والحاي في 33، وقد أورد ما يقارب خمسة
نصوص من الوضايا والرسائل.

164) راجع مجالس الانبساط 102، وما بعدها توفيه
1175/ ترجمة في فهرسة العميري 70ب - فهرسة

الحضيكي 77- كناشة كناشة الحضيكي 120 - 224

- فهرسة الجراي ضوء المصباح 330 - فهرسة

- الناودي بنسوده 13 - طبقات الحضيكي 102/1 -

- طلعة القتري 143/2 الأعلام للمراكشي 2/385 -

- الاغتباط 21 - مجالس الانبساط 101 - الروضة

- المقصوده 143 - فهارس علماء المغرب 757/3.

3.165) فهرسة الحاي في 20 / ترد الإحالة على مظان

ترجمته بعد قليل.

166) فهرسة الحاي في 26 / وقد تقدمت الإحالة على

مظان ترجمته / راجع ما تقدم هامش (90).

167) توف في 1114 / ترجمته في فهرسة الحاي في 3 -

والإتحاف الوجيز 103.

وقد احتفظ ابن عاشر الحاي في - وقد جلس إلى هؤلاء

الشيوخ واستفاد منهم - بالصورة الحية لدرس هؤلاء

الشيوخ في فهرسته، وما كان يجري فيه من علم أو

مصنفات، وما كان يتميز به هذا الشيخ أو ذاك من

علامات في طريقة تدريسه، وتلقينه للعلم.

النشاط التأليفي؛

وقد أثمر كل هذا حركة واسعة من النشاط العلمي في
العدوتين، رافقتها مظاهر الإنتاج الأدبي أولاً، والإنتاج
التأليفي ثانياً.

وبذلك تشتهر أعمال التأليف -أدبا وعلماء- التي أنتجها
علماء هذا المركز، فيبرز بينها:

1) أبو الحسن علي العماري (ت: 1118)؛

- قيد عنه ولده محمد تقايد وطررا على «المختصر»
الخليلي، و«الخلاصة» و«الكبرى» و«السلم» وغير
ذلك. (166)

- وذكر عنه تلميذه الحافي في «فهرسته» أنه قد قيد
عنه الطلبة حواشي واسعة في «شرح الكبرى» للشيخ
السوسي، و«حواشي على مختصر» الشيخ السنوسي،
و«حواشي على مختصر» «السعد، وغير ذلك. (169)

2) أبو سرحان مسعود (170) جموع (ت: 1119)؛ له
ما يزيد على عشرين مؤلفاً منها:

- منها رسم القرآن في رسم مورد الظمان؛
(مخ.خ.ع.د. 1756 أول مجموع).

- الروض الجامع في شرح الدور اللوامع: (مخ.خ.ع بتطوان رقم 103 - ورقم 156)
- التحصيل في شرح التفصيل:
(مخ.خ.ع بتطوان رقم 148).
- مصونة الذكر في الطرق العشر:
(مخ.خ. ابن يوسف بمراكش رقم 229):
- كتاب السبعينات:
(مخ.خ. ابن يوسف بمراكش رقم 343)
- نفائس الدرر في سير سيد البشر:
(مخ.خ.ع.د. 2101).
- الروضة الكبرى في السيرة النبوية (171)
- الروضة القغرى.
- شرح السلم في المنطق.
- شرح الجرومية.
- شرح الألفية.
- شرح على الشفا:
- جمعه تلميذه موسى الراحل الدغمي:

(مخ.خ.ح.355 / ومخ.خ.ع.د.12141).3) محمد

التريكي (172) (كان حيا عام 111)،

له رحلة سفاوية سجل فيها أحداث رحلة السفير

الرئيس عبد الله بن عائشة إلى فرنسا.

4) أبو بكر الفرجي المراكشي (ت: 1139): من

مؤلفاته:

- شرح السلم المنطقي:

(مخ.خ.ع.د.2230).

5) موسى الراحل الدغمي (ت: 1140): من مؤلفاته:

(173) ⇐

168) راجع الاغتباط. 100

169) راجع فهرسة الصايف: 9.

170) راجع ترجمته في فهرسة الحاي في 20 - مناقب

العكاري (مخ) - النشر 3/176 - النقاط الدرر 297

- الإتحاف الوجيز 107 - الاستقصا 7/110

171) أورد ذكرها في الإتحاف الوجيز 107 نقلا عن

النشر:

172) راجع ترجمته والحديث عن رحلته في الاغتباط

173) راجع الإتحاف الوجيز 112.

- المسلك السديد في تفسير القرآن المجيد:

- حاشية على الشفا:

جمعها من الحواشي التي قيدها شيخه مسعود جموع

(مخ.خ.ح.355).

- أشعار ورسائل:

أورد منها في «نزهة الناظر» / «حاشية على

الاكتفاء»: (مخ.خ.ح: 9757).

6) القاضي محمد مريـنو (كان حيا 1143):

- له «ديوان» ضم ما قاله من شعر ونثر جمعه أحد

أحفاده. (174)

7) الراضي محمد بن محمد الشريف الوزاني نزيل

الرباط (ت: بعد 1150):

- له «إجازات» «أشعار أورد ذكرها في «الروض

المنيف». (175).

8) على العكاري الحفيد (176) (كان حيا 1159):

له مؤلفات كثيرة تذكر له منها:

- البذور الضاوية في الشيخ والمريد والزاوية : وهو المعروف «بمناقب» (177) العكاري.
- المقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى. (178)
- الدرر المفصلة في شرح البسمة والحمدلة.
- شرح على قصيدته حفيد أبي الشكاوي في مدح جده الشيخ العكاري.
- أشعار كثيرة متفرقة. (178)
- 9) أحمد بن عاشر الحافى (179) (ت: 1163) : له كثير من المؤلفات والجاميع التي قيد موادها منها :
 - جمع أشعار وأنثار ومؤلفات شيخه أحمد التستاوتي في كتاب «نزهة الناظر».
 - جمع أشعار وأنثار شيخه العياشى التستاوتى (مخ.خ.ح.1928).
 - جمع رسائل شيخه محمد بن زكري الفاسى.
 - تحفة الزائر في التعريف بابن عاشر :
 - الفهرسة :
 - (مخ.خ.ع.ك.1421).
 - كنانيش متعددة منها : «كناشة تطوان».

(مخ.خ.ع. بتطوان رقم 536).

- أشعار وأنثار كثيرة متفرقة في «كتبه وكنائشه».

10) الهاشمي أشكالنط الرباط (180) (ت بعد
1173)؛

له العديد من المؤلفات منها:

- منهج التوضيح في صلاة التسبيح"

(مخ.خ.ع.د 1929).

- و«شرح الغنيمة» لـ محمد بن ناصر، سمته: تعليق

القلائد الجسيمة على كافور جيد الغنيمة».

174) راجع الاغتباط: 102

175) له ترجمة وذكر وأشعار ونصوص إجازات في

الروض المنيف، 61 وما بعدها / مع خاصة.

176) راجع ترجمته في مناقب العكاري، من تأليفه

(مخ.خ.ع.د 88) - الاغتباط 439 - مجالس

الانبساط. 114

- 177) هو المسمى بالبدور الضاوية في الشيخ والمزيد
والزاوية (مخ.خ.ع.د.88).
- 178) راجع الاغتباط 209 وما بعدها.
- 179) ترجمته في فهرسته كلها - كناشته (مخ.خ.ع
بتطوان 536) - نزهة الناظر 2/233 - 250 -
فهرس الفهارس 841/2 - الإتحاف الوجيز 115 -
الإعلام للمراكشي 380/2 - مؤرخو الشرفا 223 -
دليل بنسودة 318/2 المصادر للمنوني 1/170 - 176
- مقدمة تحقيق كتابه تحفة الزائر - فهارس علماء
المغرب 3/752 والمراجع المذكورة.
- 180) ترجمته في تقييد في عائلة البحرين (مع
خاصة) - الدرر المرصعة 490 - كناشة أحمد بن
المعطي مرينو (مع خاصة) الإتحاف الوجيز 116 -
الاغتباط 464 - مجالس الانبساط 116 - طلعة
المشتري 1/114 - الأعلام للمراكشي 6/71 - معلمة
بنعبد الله 4/53 - فهرس مخطوطات الخزانة
الصبيحية بسلا. 315

وهو في أربعة أجزاء (مخ.خ.ح: 1273 - ومخ.خ.ح: 9384).

- له آداب كثيرة، شعرا ونثرا، متفرقة في المصادر والمجاميع.

1) أحمد الغربي الرباطي (ت: 1178):

من أعماله التأليفية: (181)

- فهره ومجموع إجازاته. (182)

تقايبده وفتاويه: وهي متفرقة.

- أشعار وأنثار متفرقة.

12) القاضي محمد بن محمد زنبير السلوي (183)

(ت: 1194):

له مؤلفات عدة منها:

- شرح مرشدة الأخوان.

وهي منظومة في العبادات للشيخ أحمد ابن

ناصر(184).

- شرح الهمزية البوصيرية.

(مخ.خ.ع بتطوان رقم 92).

رابعا: مركز تطوان:

1) ويعتبر مركز تطوان العلمي من المراكز الحضرية المستحدثة التي ظهرت في مجال العلم على هذا العهد، فلم تكن تطوان على امتداد القرن الحادي عشر، وما قبله، إلا مركز جهاد ورباط وتعبئة، تتاخمه من جهة الشمال والغرب الثغور المحتلة، وجيوشها المعبأة في سبتة وطنجة وأصيلا والعرائش، فتسعى تطوان برجالها، وبأبطال نواحيها وضواحيها، إلى اليقظة والمقاومة، ومحاولة تخليص هذه الثغور، واسترجاعها. ورغم أن مركز تطوان قد شهد بعض الأنشطة العلمية درسا وتأليفا مع أسرة بني مهدي (185) الزياتي، ومع محمد العربي الفاسي (186) حين استقراره بتطوان، ومع قلة من الأسماء الناجمة بتطوان، إلا أن حضور هذا النشاط بالشكل الصريح، وبالصورة الفاعلة، لم يتم إلا مع الشيخ علي بركة، ومع حلقة العلمية وطلبته بدءا من العقد الأخير من القرن الثاني عشر، ليستمر بفاعليته على امتداد القرن الثاني عشر، ولتصبح به تطوان أحد المراكز المهمة التي يقصدها الطلبة من

مختلف العلوم عن شيوخها الدلائيين ممن قامت

حلقتهم بفاس ←

-
- 181) راجع مجالس الانبساط : 104
- 182) هي وارده بنصها في فهرسة العميري : 70 ب وما بعدها.
- 183) ترجمته في الإتحاف الوجيز : 116 - الأزهار العاطرة الأنفاس للكتاني 300 - الاغتباط 26 - مجالس الانبساط : 103 - 110 - 121. وفي غير موضع - دعوة الحق 100 / عدد 271 (مخطوط القاضي زبير للدكتور عبد الهادي التازي.
- 184) منه (مخ.خ.ع.د.د.2173) ضمن مجموع.
- 185) مثل أحمد بن يوسف الزياتي (ت- 1003) ترجمه في النشر : 1/43 - الحركة الفكرية لحجي 419/2 والمراجع المذكورة - ومثل عبد العزيز بن الحسن الزياتي (ت : 105) / ترجمته في تاريخ تطوان 1/341 - والمراجع التي ينقل عنها - الحركة الفكرية : لحجي 421/2.

186) توفى 1052.، ترجمته في مرآة المحاسن؛
205،159- تاريخ تطوان ؛ 339/1- الحركة
الفكرية ؛ لحجي 420/2 والمراجع المذكورة - فهارس
علماء المغرب ؛ 726/3 والمراجع بالهامش.
187) فنظر ترجمته في نثر أزاهر البستان ؛ 76.56 -
الأنيس المطرب ؛ 291 - رحلة الرافعي ؛ 29 - 174
- ديوان الرافعي ؛ 222 - 285 / فهرسة محمد بن
عبد السلام بناني ؛ 49 - رحلة ابن حمادوش
الجزائري ؛ 47 - نشر المتاني ؛ 3/195 - أزهار
البستان لابن عجيبه 182 تاريخ تطوان ؛ 1/342 -
فهارس علماء المغرب 3/742.
مثل أبي علي اليوسي. وقد لازمه مدّة طويلة، قرأ عليه
فيها الأصول، والنحو، والبيان، والمنطق، وغير ذلك من
العلوم التي اعتاد اليوسي أن يدير حلقاته بها، واستفاد
من حلقة الشيخ علي العكاري (ت: 1118). وقد استقر
مدّة يدرس بفاس قبل أن يستقر نهائيا بالرباط،
وحضر عند شيوخ فاس الشهيرين، مثل عبد القادر
الفاسي، وولده أبي السعادات امحمد، والشيخ حمدون

المزوار، كما استفاد من درس أبي سالم العياشي أثناء محنة قبيله بفاس. وقد أثار علي بركة بعودته إلى موطنه تطوان، حركة علمية نشيطة لم تعرفها من قبل. قامت مع حلقاته التي أمها مختلف الطلبة من تطوان وضواحيها، فدرس مختلف العلوم والفنون، في الحديث(188) والتفسير، والنحو، والأصول، والفقه، والأدب، والبلاغة، وغيرها.

وحضر إليه فيها الجم الغفير من طلبة تطوان وغيرها، فأجاد وأفاد، وانتفع به فيها الحاضر والباد، وكان له بها صيت كبير، وذكر شهير(189)

3) وقد كان من نتائج هذه الحلقة العلمية التي وجدت نفسها مع الشيخ علي بركة أن تعمق بها النشاط العلمي في تطوان، وتركز وجوده بالتدريس والتأليف، وكثرة الممارسين للعلم والتعليم، مما جعل من تطوان على هذا العصر أحد مراكز العلم المهمة، يقصدها الطلاب، والراغبون في العلم، واستكمال دراسته من مختلف نواحي المغرب، للجلوس إلى حلقات العلم القائمة -

والتي لا شك وقد تعددت مع تلامذة الشيخ بركة-

بهذا المركز، والاستفادة من شيوخه.

وقد تحركت مع هذا النشاط حوافر التأليف والكتابة،

ودوافع الإنتاج -الأدبي، وصياغة مواد، لتشهد تطوان

بذلك حركة واسعة في الأعمال الأدبية، وتكاثر

الأسماء المباشرة لهذه الأعمال. ويمكن أن نتمثل نشاط

هذا المركز مع حلقة الشيخ علي بركة في المظاهر

التالية :

أولاً : اتساع عملية النشاط العلمي وتكاثر طلابه :

وهو اتساع يأتي نتيجة الحركة النشيطة التي تمثلها

حلقة الشيخ علي بركة بالدرجة الأولى، في نشر العلم،

وفي استقبال وفود الطلبة والراغبين في الاستفادة.

وهي حلقة جمعت بين التنوع في درس العلوم، وبين

المعالجة المركزة، فيحضر بين التنوع في درس العلوم،

وبين المعالجة المركزة، فيحضر إلى حلقة الشيخ علي

بركة عدد كبير من مشاهير الطلبة من تطوان، وغيرها،

ويتخرج منها بعض كبار الشيوخ الذين عرفهم المغرب

فيما بعد، مستفيدين من ذلك علوم الدراية والرواية،

ومستوثقين في ذلك بنصوص الإجازات التي كتبها

الشيخ علي بركة إلى بعض هؤلاء.

- محمد الرافي (190) التطواني (حيا 1110)، وقد

محضر إلى الشيخ علي بركة في درس الحديث

والتفسير، ومدحه بقصائد عديدة سجل فيها حفلات

ختم المصنفات التي أقرأها هذا الشيخ في تلك العلوم،

فاستفاد منها، وتخرج بها.

من ذلك قوله في مطلع قصيدة بمناسبة حفل اختتام

«مختصر» خليل (191)

تألاً نور في العلا وتألفا

ولاحت شمس بالهدى وضياء

ونارت بدور واضمحلت ولم تر

سحائب جهلي إذ تراه الضياء ←

188) راجع أزهار البستان؛ لابن عجيبة؛ 182

189) راجع النشر 3/195، وقريب من هذا في «نشر

أزهار البستان» 56

190) ترجمته في رحلته (مخ.خ الداودية بتطوان
رقم 134) - تاريخ تطوان 1/350
191) ديوان الرافعي 222 - ورحلة الرافعي 174-
وتاريخ تطوان: 1/397
ومنها أيضا قصيدة أخرى سجل فيها حفل الختم لدرس
التفسير، أولها: (192)
تلاً ثغر بالعلوم فأصبحت
ظلال المعالي ثغرها لبسيم
وممن أكثر ملازمته والاستفادة منه من طلبة تطوان،
الأدباء والعلماء فيما بعد: العربي أبريل، وعلي
منصوصة. ومحمد بن عبد سلام الفضل التطواني،
ومحمد بن يعقوب التطواني، وأحمد السرايري. (193)
وعمر لوقش، وغيرهم كثير.
وبعض هؤلاء تصدر للتدريس بتطوان، واتسعت حلقاته،
وتنوعت العلوم والمصنفات التي مارس تدريسها.
على أن شهرة حلقة الشيخ علي بركة، كان لها صدى
خارج تطوان، حيث يفد عليه عديد من كبار الطلبة،

من فاس، وغيرها للأخذ عنها، وللإستفادة منه. من هؤلاء:

- محمد بن زاكور الفاسي، وقد استفاد منه إجازة في علومه (194) ورواياته.

- ومحمد بن الطيب العلمي، وقد ختم به لائحة شيوخه، ووصفه بعالم تطوان «وإمامها وبركتها، وقطب رحاها، وشمس ضحاها» (195)

- ومحمد بن عبد السلام بناني، وقد استفاد إجازة منه: (196)

ثانيا: إقامة مجالس الإنشاد الشعري وعرض قصائد المديح النبوي:

وتميزت تطوان على عهد الشيخ علي بركة بإنشاء مجالس الإنشاد الشعري، جريا على العادة فيما تعرفه بعض المراكز العلمية الأخرى، فقامت بها أعمال الإنشاد الشعري في حلقات الدرس، وأثناء عرض المواد، فيجري بها الاستطراد إلى ما يورده الشيخ من نماذج شعرية للإستشهاد، أو للتمثيل، أو لمجرد الترفيه وطرده الملل.

وقد كان درس الشيخ علي بركة يفيض بهذه الأحماض من الفوائد، والإنشادات الشعرية التي تتنوع، فيستحضر منها أثناء درسه من حفظه «ما يكثر، ولا تسعه هذه العجالة لقوة حفظه (197) وعارضته. ولذلك أورد بناني، وهو يتحدث عن درس شيخه علي بركة، نماذج من هذه الإنشادات التي كان يرددها، في دروسه، وجرت بها مجالس الاحتفال بختم المصنفات، وإنشاد الأشعار بها، ومجالس قراءة الأمداح النبوية، وإلقاء القصائد التي أنشأها الشيوخ والطلبة في ذلك.

وقد كان أثر الدلاء في إحياء مجالس الأمداح النبوية -وبخاصة ليلة المولد النبوي- وإقامة الحفلات لإلقاء القصائد، أمرا ساريا في حلقة الشيخ علي بركة، وبين طلبته! ولعله تأثر في ذلك، بشكل مباشر بشيخه أبي الحسن العكاري (ت: 1118) وقد لازمه مدة يقرأ عليه النحو «بالتسهيل» و«الألفية» بفاس، بعد أن استقر هذا الشيخ بها، عقب تخريب الزاوية الدلائية.

وقد كانت حلقة الشيخ أبي علي العكاري، وبخاصة - على ما تعرفنا عليه فيما قبل- تلك الحلقة التي أقامها

بعدوتي الرباط وسلا، متميزة بهذه المجالس المدحية
للنبي صلى الله عليه وسلم استقاها من إقامته بالدلاء،
ولا سيما عند إحيائه ليلة المولد النبوي، وتكليف
الطلبة بصنع قصائد المديح النبوي وإنشادها. ←

- 192) ديوان الرافعي: 285 - وتاريخ تطوان 1/402
193) راجع رحلة ابن حمادوش: 68 - توفى
السرايري 1156 / ترجمته في النثر 4/42 - رحلة
ابن حمادوش 67 - تاريخ تطوان: 1/41
194.) راجع نشر أزاهر البستان 76 - وراجع نص
الإجازة أيضا في تاريخ تطوان 1/351.
195) راجع الأنيس المطرب 293.196) راجع فهرسة
ابن عبد السلام بناني: 50 - وراجع نص الإجازة في
تاريخ تطوان: 3/144 نقلا عن تحفة الفضلاء. 197)
راجع فهرسة محمد بن عبد السلام بناني: 50
وقد اشتهر مجلس علي بركة بذلك، حتى إن بعض
معاصريه من العلماء قد نوه به في ذلك، واعتبره زيادة

في محبة النبي صلى الله عليه وسلم وفضلا تفردت به
حلقته، لأنها تعمل على نشر محبة الرسول صلى الله
عليه وسلم بين الأنام للقيام بمديحه بهذه الصفة،
والمشاركة في تمجيده، فيذكر ابن زكري من حديث له
في الموضوع قوله: «...فإن من أعظم محبته صلى الله
عليه وسلم، محبة من يحب فيه، ويجذب القلوب إليه!
وقد أدركنا من قام بهذا الوظيف، وأدى ما عليه منه،
الشيخ الإمام القدوة الهمام، ذا العلم المتين والمعرفة،
الحاج علي بركة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل
الجنة قراره ومأواه، فلقد أحيى سنة أكيدة، وصرف
إلى إظهارها اعتناءه وتأكيده، حتى انتفع بذلك عدد
وافر من المسلمين، واستفادت بسببه بصائر طوائف
كثيرة من المؤمنين... ونحن مقتفون في ذلك بحسب
الطاقة أثره، ومقتدرون فيما أسسه من ذلك(198)
وقرره».

ويبدو أن ما أقامه الشيخ علي بركة من عادة الاحتفال
بليلة المولد النبوي بتطوان، وتسخيرها لتكون مدعاة
للمناقشة الأدبية والمشاركة في قول الشعر وإنشاده،

كان أمرا يجري فيه على ما بدأت تعرفه، مراكز علمية أخرى في البادية والحاضرة - كما هو الشأن مع العكاري بسلا - حتى إنه قد أصبح الإنشاد الشعري في الموضوع وما رافقه من تنغيم وموسيقى في بعض الأحيان قضية الساعة الشاغلة ترفع فيها 10 الأسئلة إلى الشيوخ، ويستفتي فيها أصحاب التخريج والاجتهاد، وتصاغ حولها إجابات العلماء وأصحاب الشأن والمحللين للقضايا العلمية. (199)

ويبدو أثر هذه المجالس الأدبية فيما يتحدث عنه محمد الرافعي (200) في رحلته، فقد أدركه المولد النبوي وهو بالبلاد المصرية، فوصف كيفية الاحتفال به عند المصريين، وقد قارن بين ما يراه هنا، وما هو جار به في بلده من الاحتفال بالمناسبة، وتأثر كثيرا لكونهم لا يقيمون فيه سوقا للأمداح النبوية، وقراءه القصائد، وإنشاد الأشعار، إلا في القليل جدا، مقارنة ذلك بما يجري في المغرب، وبخاصة في مدينة تطوان، فيتذكر ما كان قد صنعه من شعر بالمناسبة في السنة المنصرمة، حين كان بالمغرب فيسمي قصيدتين قالهما

مشاركة في الاحتفال بالمولد النبوي، ويورد نص واحده
منها فقط وهي: (201)

صل يا رب على بحر الوفا

معدن الجود وفضل ووفاء

كلما غنى هزاز وشدا

طار قلبي واعتراي شغفا

كلما لاحت لدي روضة

ذات ورد وبهار خطفا

كلما هبت علي نسمة

من أهيل الحي سرت مرجفا

ثالثا: ممارسة النشاط التأليفي:

وهي ممارسة تبدأ حضورها مع الشيخ علي بركة في

الأعمال التأليفية الكثيرة التي أنجزها! ورغم أن

تطوان قد كان لها حضور في العمل التأليفي مع أبناء

مهدي الزياتين، فإن انطلاقة هذه العملية

واستمراريتها، إنما يتحقق على عهد المولى إسماعيل مع

الشيخ علي بركة وتلامذته.

وهكذا تعرف للشيخ علي بركة مجموعة من المؤلفات
تتعلق بالنحو والفقہ والحديث (202) والتصرف في
النحو يذكر له: ←

- 198) تاريخ تطوان 1/362 .
- 199) راجع أجوبة بردلة 23 - نوازل المسناوي 109
- البذور الضاوية للحوات: 398 - كناشة بنسودة
(37 مخ.خ.ع.د.د.163).
- 200) رحلة الرافي الحجازية (المعارج المرقية) 158
(مخ.خ. داود بتطوان رقم 134).
- 201) رحلة الرافي: 159 .
- 202) راجع لائحة مؤلفاته في تاريخ تطوان 1/358
- حاشية على شرح المكودي للألفية:
جمعها تلميذه أحمد (203) السرايري (ت: 1156)
من الطرر التي سجلها الشيخ على نسخته من المكودي
على الألفية، وهي مما خطر له أثناء تدريسه للكتاب
المذكور،

- شرح مطول على الأجرومية :

وقد ذكر الأستاذ داوود أنه يقرب من 400 صفحة
حسب النسخة الموجودة منه بمكتبه.

وفي الفقه يذكر له :

- مناسك الحج :

وهو تأليف صغير يجري على طريقة المناسك المتداولة
عند المغاربة، فيقتصر على شرح المهم منها توضيحا
للراغبين في الحج، وتمهيدا لاستيعاب ما يتعلق بأساليب
الحج في أركانه وسننه - الدرر الحسان فيما يخاطب به
الإنسان من الإسلام والإيمان والإحسان.

وهو كتاب فريد في بابه، حاول فيه الشيخ علي بركة
تقريب هذه المفاهيم وشرح أسسها، فتكلم على العبادات
والجهاد والحلال والحرام، وغير ذلك،
وقد أعجب الأستاذ داوود بهذا الكتاب، فنوه به وأثنى
على صاحبه.

والكتاب كثير التداول بدليل كثرة نسخه المخطوطة.

- أجوبة مختلفة :

في الفقه والحديث وغيرها، وهي أعمال متفرقة في
المجاميع والكنائش، وقد كان الشيخ علي بركة من
جهته كثير السؤال لمعاصريه من العلماء والأدباء.

- أنظام وأشعار وإجازات وتقاريط ورسائل؛
وهي أعمال أدبية ونظمية، أكثر منها الشيخ علي بركة،
وهي متفرقة في المصادر والمجاميع.
- وفي التصوف.

شرح الغنيمة للشيخ ابن ناصر.

وتعرف لتلميذه الشيخ محمد الرافي التطواني
مجموعة مؤلفات. (204) منها؛

- ديوان من الشعر؛ وبآخره إضافات شعرية له ولغيره.
- ديوان من النثر.
- رحلة حجازية أسماها «المعارج المرقية».
- مجموع في أذكاره.

ويعرف لحمد بن يعقوب التطواني الشهير؛ (205)

- كناشة عامرة بالنصوص الأدبية التي كان يهتم بها،
وقد خصص قسما منها لغرض أشعاره التي أنتجها عام

ويعرف لعمر لوقش:

- و كناشة مليئة بالتقايد ونصوص الإجازات. (206)

- تعليق على تفسير الفاتحة لابن زكري (مخ.خ.ح:

858 ضمن مجموع وورقة 111 - 114). ويعرف

لمحمد بن عبدالسلام المفضل الأندلسي: (207)

- شرح مقصورة المكودي.

ولعيسى الجزيري: (208)

بديعية في مدح القائد محمد لوش.

- شرحان كبير وصغير على هذه البديعية. ⇐

203) ترجمته في رحلة ابن حمادوش الجزائري 67

وما بعدها - النشر: 4/42 - التقاط الدرر: 394-

الأكليل والتاج: 29 - أزهار البستان لابن عجينة

196 - تاريخ تطوان 3/41.

204) يضمها مجموع (مخ.خ. داود بتطوان رقم 134/

راجع عن الرافي ومؤلفاته تاريخ تطوان 1/390 وما

بعدها.

205) ترجمته في تاريخ تطوان 3/50 - وكناشته (مخ
خاصة) بخزانة الأستاذ المنوني.

206) منها نسخة بخط صاحبها بخزانة الأستاذ
المنوني.

207) ترجمته في تاريخ تطوان 3/58 - وشرحه
للمقصورة مخ.خ.ح.298.

208) ترجمة الجزيري، والحديث عن بديعته
وشرحها في تاريخ تطوان 3/61، ويوجد من شرحي
البديعية المذكورة نسخة بخط المؤلف بخزانة داود،
بتطوان رقم 69.

غير أن أكثر ما يعرف أعمال رجال تطوان في هذا
العصر، تعود إلى أعمال الأدب ونصوص الشعر. وهكذا
لا تذكر لـحمد بن سعيد بن قريش، وليوسف الشوذري،
ولعبد الرحمان الزلال، ولـحمد الدريج، ولـحمد بن أبي
جيد، والعربي أبريل، وعلي منضوطة، وغيرهم إلا
نصوص الأجوبة أولاً، ونصوص الأدب من شعر ونثر
ثانياً.

رابعاً: خلق حركة في الأدب وممارسة أعماله:

وهو أوفى هذه المظاهر حضوراً، وأكثرها بروزاً في نشاط
مركز تطوان على هذا العهد، فيتسع نشاط ممارسة
العمل الأدبي في صورته العامة، بما تمثل الأعمال
الإبداعية والتأليفية التي شهدتها حلقات العلم،
ومجالس الشيوخ، ومحافلها، وعند أكثر الأسماء التي
اشتهرت بالعلم في تطوان آنذاك، فتعددت أسماء أدباء
تطوان، وشعرائها، ممن مارست الأدب وقول الشعر، فلا
يذكر أحد من رجال العلم في تطوان، إلا وكان الأدب
بأوضاعه المختلفة نشاطاً من نشاطها، تمارسه في
العملية الأدبية المحضة، عند صنع القصائد، وصياغة
الأنثاء الترسلية، في الخطب والتقاريط والرسائل
والمقامات، وتمارسه في كتابه نصوص الإجازات،
وأساليب تقديم المصنفات، وتدريج الإجابات، وتمارسه
في وضع ثالث على مستوى التأليف الأدبي، فتعالج
قضية أدبية أو بلاغية، وتورد أخبار الأدباء
وتراجهم، والفوائد الحاصلة معهم، وتتناول شرحاً
لنص من نصوص الأدب، أو ما يقرب منه.

وقد برز من هذه الأسماء الأدبية التي استأثر نتاجها
بالاهتمام من أهل تطوان عدد غير قليل من رجال العلم
والآداب.

من أشهرها :

❖ الشيخ علي بركة :

وهو كما كان شيخ العلماء، كذلك كان شيخ الأدباء، وإن
لم يشتهر في أدبه، كما اشتهر في علمه وصلاحه، فتذكر
له أشعار كثيرة وأنظام متعددة، تشمل المديح والتوسل
ويرهما.

وينسب له زيادة على هذا نشاط وافر في المكاتبات
وصناعة النثر في التفريط والإجازات.

ولئن كان في شعره يجري على طريقة الفقهاء في
أشعارهم، بحيث يبقى رهين التعبير المباشر الذي يشده
عنصر الإخبار بالدرجة الأولى، فإنه في الأعمال
النثرية، كان أكثر تمكنا من تصريف اللغة، وصياغتها،
متقنا فيها طريقة عصره - في الكتابة، فيلتزم الأسجاع،
ويقوم كتابته على الازدواج، وإثارة بعض المحسنات
البديعية كأساس في التعبير.

❖ محمد الرافي التطواني؛

وهو ممن اشتهر بأعماله الأدبية التي انفردت بذكره،
والتعريف به، إذ لا يرد ذلك اسمه في مصدر من مصادر
هذا العصر، دون ذلك.

فله ديوان، شعر، وديوان، نثر، ورحلة حجازية، ومجموع
أذكار، وهي أعمال رغم ما يقال في مستواها تقدم لنا
الرافي الأديب، وترسم لنا جانبا كبيرا من ممارسة
العمل الأدبي عنده. ❖ محمد بن سليمان: (209)
وهو شخصية أدبية كبيرة، لا أعرف شيئا عن نشأته
ولا عن دراسته، أو علاقته بشيوخه، ولا تذكر له
أعمال تأليفية، غير أن له عارضة في صنعة الشعر
وكتابة النثر، وقد حرك مجاله، في تطوان خلال الربع
الأول من القرن الثاني عشر، فكان كبير الكتاب
والأدباء، ووزير والي طنجة وتطوان، وكاتبه، تنطلق
منه المكاتبات، وتعود إليه المراجعات، ويتبادل معه
أدباء مصره وعصره المساجلات، فكتب من الشعر والنثر
الشيء الكثير، وما يزال «الأنيس المطرب» يحتفظ
بجزء وافر من أعماله.

ومع هؤلاء الثلاثة، كان هناك كثير من الأدباء الذين
أنجعتهم تطوان في هذه الفترة، أو كونتهم حلقة الشيخ
علي بركة، فساهموا في تحريك العمل الأدبي، إما ←

209) راجع عن ابن سليمان وأدبه، الأنيس المطرب،

204 - وتاريخ تطوان: 3/42

بأشعارهم وقصائدهم، وإما بأعمالهم التأليفية، مثل
عبد السلام لوقش، وولده عمر لوقش، ومحمد بن أبي
جيد، والعربي أبريل، وعلي منضوطة، ومحمد الدريج،
ومحمد بن طريقة، وأحمد علوش، ومحمد المفضل
التطوانى، ومحمد بن يعقوب، وعيسى الجزيري.
وهؤلاء جميعا ما تزال أعمالهم شعرا أو نثرا، إبداعا أو
تأليفا، قائمة تجري نماذجها ونصوصها بين أيدي
الباحثين اليوم.

وبجانب هؤلاء الأدباء، كان هناك العلماء القضاة
الذين مارسوا الأدب في حدود، فصنعوا المنظومات
المختلفة، وصاغوا بعض الأعمال الشعرية، مثل القاضي

محمد بن قريش - ويحتفظ داوود بالعديد من أشعاره
ومراجعاته - وعبدالرحمان الزلال، والشوذري، وبعض
أبناء آل الفاسي ممن استقر بهم المقام في تطوان.
وقد تحصل من نشاط هؤلاء وأعمالهم إنتاجات أدبية
كبيرة، منها ما كان إبداعا يمثل الدواوين الشعرية
والنثرية، وأعمال الرحلات، وبقية أصناف النصوص
الإبداعية من قصائد وإجازات وخطب ومقامات
وغيرها، ومنها ما كان تأليفا في الأدب مثل شرح
مقصورة المكودي، وشرح الجزيري لبديعية، وغيرها.
وما زاد في تصعيد هذه الحركة الأدبية، قدوم العديد
من مشاهير الأدباء إلى تطوان والإقامة بها، ومشاركة
أصحابها من الأدباء والشعراء نشاطهم الأدبي،
بالمراجعات والمساجلات والإنشادات وغيرها.
ويكفي أن تذكر زيارات أبي علي اليوسي وما أنتجه من
أشعار في تطوان، وبخاصة ما حض فيه على الجهاد
ورغب فيه، وما كتبه في رسائله مما عاين من رباط أهل
تطوان والمجاهدين على سبته وبقية ثغور الشمال
الأخرى لتحريرها. (210)

لنتصور ما تبعته زيارة مثل الشيخ البوسي إلى تطوان
من عمل أدبي فيها، ومن تحريك أوضاعها، لتكون مجالاً
لإنتاج نص هذا الأدب ومعالجة مواده وعرض
ظواهره. ونذكر أيضاً زيارات محمد بن زاكور، وإقامته
في تطوان للدراسة على شيخها علي بركة، وصحبته
لبعض أدبائها، وما تبادلته معهم من آداب وأشعار ما
يزال يحتفظ بالكثير منه في كتابه: «نشر أزهر
البيستان» وفي ديوانه «الرقص الأريض» (211)
ونذكر أيضاً زيارات الشاعر الأديب محمد بن الطيب
العلمي، وما خص به أدباء تطوان من ذكر، وما عرض
فيه من أعماله في تطوان، وأعمال الأدباء الذين لقيهم
أو عاشرهم بها، وما تبادلته معهم من مراجعات، وما
تناشده وإياهم من أشعار وقصائد، وما تداول كتابته،
معهم من أنثاء في الخطب والرسائل والمقامات.
ويعتبر كتاب «الأنيس المطرب» ثمرة هذه الزيارة، - إذ
تم إنجازه بتكليف من الشاعر الكاتب محمد بن
سليمان - وسجلاً لجانب من النشاط الأدبي الذي
عايشه ابن الطيب العلمي أثناء إقامته بتطوان، في

كنف الوزير محمد بن سليمان، وبين جماعة الأدباء
الذين كانوا يمثلون رفقته. (212)

ونذكر أيضا زيارات الشاعر علي مصباح إلى تطوان
والعلاقات التي أقامها مع بعض رجالها العلماء مثل
الشيخ عمر لوقش، والأشعار التي أنشأها في هذه
المدينة، مدحا لأهلها، ودفاعا عنها، ووصفا لمحاسنها
ومفاتها، ليحتفظ «ديوانه» بالكثير من هذه القصائد
التي تمثل جانبا من النشاط الأدبي الذي عرفته
تطوان مع الوافدين عليها من أدباء المغرب. (213)



-
- 210) راجع تاريخ تطوان 1/411 - 414
211) راجع تاريخ تطوان: 1/416 وما بعدها، حيث
النقل من «نشر أزاهر البستان»
212. تاريخ تطوان 3/130 وما بعدها حيث نقل عن
«الأنيس المطرب» ما يخص رحلة ابن الطيب العلمي إلى
تطوان وما أنتجه من أدب بها. 2
13) راجع تاريخ تطوان 3/119 وما بعدها.

ومع زيارات هؤلاء الوافدين من مشاهير الأدباء، كانت
تطوان مقصد الكثير من العلماء الذين نزلوا بها والذين
كانت لهم مشاركات أدبية مثل القاضي عبد المالك
التجموعتي، ومحمد بن عبد الوهاب، الوزير، وكانت
رحلته إلى شبه الجزيرة الإيبيرية انطلاقا من تطوان،
ومحمد القسطيني الكماد، ...
وغير هؤلاء كثير ممن ارتبط بعض إنتاجهم الأدبي
بتطوان أو مخاطبة أهلها، أو الحديث عن قضاياها.
وما تزال أعمال هؤلاء جميعا - كانت قليلة أو كثيرة -
متيسرة بين صفحات المصادر المتداولة بين أيدينا
اليوم.